تاريخ فلسطين القديم

من خلال علم الآثار

الإشراف العام
د. علي القيّم

الإشراف الطباعي
أحمد عكيدي

وزارة الثقافة
مديرية إحياء ونشر التراث العربي
إحياء التراث العربي
(   )

تاريخ فلسطين القديم

من خلال علم الآثار

الدكتور عفيف البهنسي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠٠٩

المدخل

في هذا الكتاب عرض للحفريات الأثرية التي تزاحمت خلال قرن كامل في فلسطين، بهدف تحقيق مطمع اليهود بإقامة دولة لهم على هدي التوراة. و منذ العام ١٩٦٧ تتابع فشل هذه الحفريات التي قام بها الإسرائيليون حصراً، مما كشف عن تاريخ فلسطين العربي الجذور، اعتماداً على اعترافات الأثريين العاملين في فلسطين وفي بلاد الشام، وعلى نتائج حفرياتهم التي كشفت عن حضارة كنعانية امتدت منذ الألف الثالث قبل الميلاد، تعتمد عقيدة ولغة واحدة، ما زالتا تشكلان جذر الحضارة العربية السائدة.

ولكن من المؤسف إن العالم اليوم لا يتحدث بمنطق العلم رغم أنه يعيش في عصر العلم، بل إنه يتحدث بمنطق القنبلة مغيّراً صفة العصر الحضارية إلى صفة همجية، ولست أدري متى يصبح في الكونغرس عضو من أولئك الذين يعيشون هذا العصر، يستطيع أن يقرأ التاريخ ويتابع الكشوف الأثرية ثم يبني كلامه وصوته على هذه القراءة. ولست أدري متى يستطيع أحد أعضاء الكنيست من غير التوراتيين أن يقرأ كيف تكذب الاكتشافات الإسرائيلية ذاتها جميع إرهاصات اليهود التوراتية، عندها عليه أن يقول كلمة أو يهاجر عائداً كما يفعل الكثيرون ممن أغوتهم كذبة الوطن الموعود، فعرفوا الحقيقة ولاذوا بالفرار.

ثم لست أدري متى ينهض السياسيون العرب من خدر التوراة، لكي يقرؤوا ما يكتبه علماء العالم ويتابعوا ما يكتب عن حقيقة الوجود اليهودي وعن تاريخ الصهيونية وتاريخ فلسطين منذ بدايته حتى اليوم؟... لماذا لا يقرؤون التوراة ذاته، لماذا لا يناقشون التطلعات والمطامع اليهودية والصهيونية، التي قامت على أساس الأسطورة والخيال المريض والكذب المفضوح، بالعودة إلى الحقيقة والتاريخ، تاريخهم هم وتاريخنا نحن العرب. و أليس انتصار التاريخ هو انتصار الحقيقة ؟.. إذن لماذا لا نضع الأمور في نصابها ونجعل للتاريخ وعلم الآثار الدور الأول في معركة المصير التي نخوضها مع (إسرائيل) اليوم؟!.. أليس من العار أن نخاطب (إسرائيل) على أساس الواقع المهزوم. أليس من الجهل أن نحاور العالم على أساس أحداث التوراة التي أصبحت بفعل الصهيونية مسلمة لدى أغبياء العالم.

هل نقف أمام قرارات خطيرة، كموقفنا أمام قرار إنشاء (إسرائيل) بقوة التوراة المكتوب بأيديهم، لماذا لا يُمنح مؤرخو العرب جميعاً و علماؤهم الأثريون فرصة الكلام في مجالس السياسة، لماذا لا نوظف قوة التاريخ وبرهان العلم في معركة المصير، كما وظف الصهاينة قوة الأسطورة والتوراة في معركة وجودهم وأطماعهم.

لقد كانت ثمة تجارب ناجحة جداً خاضها العلم والتاريخ في معركة اكتشاف إيبلا، وفجأة تضافرت جميع القوى لإخماد الصوت التاريخي في معارضة الصوت الأسطوري التوراتي.. ولنا أن نعرف بعد ذلك حدود خيبة الأمل التي أصابت أولئك العلماء الشرفاء في العالم والذين حسبوا أن قوة العلم التي أشهرها علم الآثار هي قوة يؤمن بها أهل السياسة أيضاً، فانكفأوا على أنفسهم مبتعدين عن ساحة لا سند للعلم فيها في معركته ضد الوهم، فماذا

عسانا أن نقول للجيل القادم من الذين آمنوا أن التاريخ هو أقوى ما يحفزنا على بناء المستقبل، هل نقول لأولئك أن دروس القومية التي يتعلمونها هي دروس في وطن مغلق، أم نعود مرة أخرى وبكل شجاعة للقول إن دروس القومية هي دروس من التاريخ ومن العلم وإن ما نتحدث فيه عن عروبتنا وأصالتنا هو حديث حضاري يهم العالم كله أن يعرفه، وأنه الحديث الذي نستطيع به أن نقهر ونهزم جميع الادعاءات غير التاريخية والتي تريد أن تجعل من (القومية الصهيونية) القائمة على الخرافة، زعماً يقوم على الحق والتاريخ.

إن معركة الوجود والمصير تتحرك في ساحة العلم الذي يؤمن به أيضاً علماء العالم والمثقفون، وإذا تنكب المثقفون العرب عن استعمال جميع أسلحة العلم في هذه المعركة، فإن من يحل محلهم ليسوا قادرين على مجابهة قوة المدفع وقوة الأسطورة التي تدعم الحقوق المزعومة، وتؤدي إلى جعل القدس عاصمة موحدة وجعل الجولان جزء من (دولة إسرائيل) التي تمتد حدودها من الفرات إلى النيل.

من قال من المؤرخين إن القدس هي عاصمة طبيعية (لإسرائيل)، هل كان لليهود وجود سياسي خلال خمسة عشر قرناً مضت مؤخراً ؟! هل استطاع العلماء اليهود إثبات وجود دولة لهم على هذه الأرض أو تحتها في أي حقبة من التاريخ ؟.

هل دفع أحدهم ثمن هذه المدينة من دمائه كمل فعل العرب المسلمون في مذابح الفرنجة سنة ١٠٩٩م ؟! هل كان من السبعين ألف شهيد في القدس، يهودي واحد دفع ثمن الوطن دماً وروحاً؟!.

وقبل الإسلام، من كان يعيش في القرى وماذا كان اسمها؟ أنا أقص عليكم قصة من التاريخ الذي حققه علماء من أمثال الأثرية الشهيرة كاثلين كينيون(١)، ولا أحدثكم أبداً بمنطق الكنيست والكونغرس والصحافة المريضة.



اليبوسيون

أورشليم هي أور= مدينة، وشليم = سلام، ويذكر التوراة أن هذا الاسم طارئ على اليهود. واسم القدس القديم هو يبوس نسبة لليبوسيين العرب الذين نزحوا إليها مع منتصف الألف الثالث قبل الميلاد أي قبل قرون من ظهور إبراهيم وموسى وداود.



آثار اليبوسين في القدس

ويُعرف حصن اليبوسيين من خلال اسمه المحرف حصن صهيون (وتعني بالكنعانية، المكان العالي) ولقد تحقق من ذلك الأثريون، وفي التوراة أن داود دعا في عام ١٠٠٠ق.م قومه لاحتلال يبوس، أي أن هذه المدينة كانت منذ عام٢٤٠٠وحتى ١٠٠٠ق.م عربية كنعانية. ويقال إن سليمان أنشأ هيكلاً ونحن نعرف أن الصوريين هم الذين أنشأوا هذا الهيكل. وبعد السبي الأول ٥٨٦ ق،م ماذا بقي من اليهود وكم كان عددهم. إنها روايات متناقضة حتى ظهر من العرب من يقول إن التوراة كتبت في عسير وليس في فلسطين، وأن العائدين تناثروا في الأصقاع؟.

إذن تلاحقنا عقدة التوراة في السياسة وفي علاقاتنا الدولية ثم في بناء الفكر العربي والبحث عن الحقيقة، ويصل بنا الأمر حتى نخترع تاريخاً ونفصّل جغرافية على مساحة هذا التاريخ. دون أن ندري ونحن نتحرك في ساحة السياسة أو في ساحة العلم على منابر الجامعات، أننا أسرى الأفكار التوارتية التي نسجت خيوط العنكبوت على أفكار الكثيرين من سكان العالم العربي. وصدق من قال: إن الصهيونية خارج حدود اليهودية هي أشد خطورة على التاريخ وأوسع انتشاراً على الأرض.

لقد أراد بناة (إسرائيل) أن يوظفوا علم الآثار لتأكيد نص التوراة فلم يفلحوا. وعندما أرادت البعثة البريطانية البحث عن بوابة هيرودوتس الآدومي ٣٧ ق.م (الذي يقال إنه أصبح يهودياً، مع أن التاريخ يحدثنا عن دوره في قمع طموحات اليهود وعصبياتهم)، هذه البعثة لم تعثر في حفرياتها قبل الاحتلال حول أسوار الحرم الشريف على البوابة بل عثرت على ثلاثة قصور أموية اعترف العالمان الإسرائيليان مازار و مساعده بن دوف (٢)، أنها تعود إلى عهد عبد الملك بن مروان. وعندما طالب اليهود بحقهم بجدار المبكى أسست لجنة البراق الدولية وأثبتت تاريخياً أن هذا الجدار يعود إلى منشآت عربية إسلامية وليس لليهود حق فيه.

ومع ذلك فإن حائط المبكى كان أول مكان صلى فيه الحاخام الإسرائيلي بعد احتلال القدس الشرقية في عام ١٩٦٧. ثم وسع الجدار

خمسة أضعاف، وهدمت الأحياء القديمة التاريخية المجاورة وأنشئ بديلاً عنها أحياء يهودية جديدة، وامتدت حركة التهويد إلى جميع أنحاء المدينة على المستوى الإداري والتعليمي والعمراني، بل لقد هدمت أماكن مقدسة وأحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ وسرقت كنوز كنيسة القيامة واحتلت الأراضي الوقفية المسيحية.

وبعد فإن (إسرائيل) تعلن من وقت إلى آخر أن القدس الموحدة عاصمتها وهي تريد بذلك أن تؤكد احتلالها بقوة السلاح وباستمرار الكذبة المدسوسة على التوراة. لقد مرت القدس بتاريخ مماثل واحتلتها جيوش ضخمة لم تلبث أن غادرتها وكان آخرها الفرنجة الذين استمروا ثمانين عاماً وغيروا من معالم المسجد الأقصى، وكان صلاح الدين قادراً على تحريرها بقوة الإيمان بالتاريخ وبوحدة العرب والمسلمين.

لقد تمسك المؤرخون بالتوراة رغم شهرتهم العلمانية، نذكر منهم رجا جارودي. إذ بتاريخ ١٨-١٢-١٩٨٢ اجتمعت في تونس اللجنة التحضيرية لإنشاء الجمعية العالمية لحماية التراث الفلسطيني بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تحدث عدد من كبار المفكرين والكتاب الأحرار، وكان من بينهم المفكر الفرنسي المعروف رجا جارودي الذي اتخذ موقفاً مؤيداً ومتحمساً، ولكنه استعار من التوراة شواهد اعتقدها تاريخية، ولكن علم الآثار والمكتشفات الأخيرة لم تقرها، وألمحنا إلى ذلك في كلمتنا آنئذ، متذرعين بمكتشفات إيبلا، مما دفع السيد جارودي للاعتراف بعدم تتبعه للمكتشفات الأثرية، وأعلن عن عزمه على متابعة هذا الجانب من المعرفة الموثقة.

وفي يوم ١٥-٤-١٩٨٣ فوجئت في دمشق بزيارة السيد جارودي وزوجه العربية الفلسطينية.

لقد كان لقاءً علمياً، شعرت خلاله بإخلاص الرجل للعقل الذي يدحض الوهم، واعتماده المنطق الذي يسدد المعرفة، وكان بيننا حديث نستذكره هنا ونعرضه حواراً مختصراً.

وابتدأ جارودي الحديث متسائلاً: لقد تبين لي أنكم لا تعتمدون في أبحاثكم التاريخية على التوراة، وكنت أعتقد أن القصص التوراتي هو الدليل الأول للأثريين، وأن تاريخ التراث الفلسطيني يبتدئ من التوراة؟.

قلت: إن صيانة التراث الفلسطيني تبتدئ من نقطة أساسية هي التعرف على حقيقة تاريخ الحضارة في فلسطين. لقد كان المصدر الوحيد لمعرفة التاريخ هو «التوراة»، الذي اعتبر حقيقة مقدسة استغلته الصهيونية العالمية للادعاء بحق وهمي بأرض أطلق عليها، بزعم وحيد الطرف «أرض الميعاد»، واستمر كتاب العهد القديم مصدراً تاريخياً لفلسطين، وبأصولها حتى عهد قريب، حيث توسع نطاق المكتشفات الأثرية وتبين من الكتابات القديمة المسمارية والهيروغليفية، أن التوراة لم يتضمن الأحداث الضخمة والحضارات والحواضر الكبيرة، بل اقتصر على أحداث محدودة، واستند في تفسير التاريخ على أفكار قديمة، و تبين أن بعض الأحداث الفاصلة في تاريخ اليهودية ليس لها أي مؤيد في المكتشفات الأثرية، بل إنها أثر من الوهم أو من التمني والتطلع الذي استحوذ على الأحبار اليهود في المنفى، أن يكتبوا الكتاب بأيديهم، ويقولوا هذا من عند الله.

قال جارودي: اعذرني لقد قرأت قليلاً عن مكتشفات إيبلا، ولأن قراءتي كانت صحفية، فإنني لم أجن منها رؤية واضحة.

قلت: إن أعظم المكتشفات التي تمت في هذا القرن، كان اكتشاف «إيبلا» في شمال سورية والتي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وفيها اكتشفت المكتبة الملكية التي تحوي أكثر من خمسة عشر ألف رقيم «لوح طيني مكتوب»، ومن هذه الألواح عرفنا أشياء كثيرة تتعلق بمنطقة بلاد الشام وخاصة فلسطين وسأعرض بعضاً منها بإيجاز.

١- إن الشعب الذي كان يعيش في «إيبلا» هو شعب عربي يتكلم اللغة العربية الأم التي تختلف قليلاً عن لغة «أكاد» في بلاد الرافدين، وتقترب من لغة «كنعان» في الساحل السوري وفلسطين، وإن جميع من يتكلم هذه اللهجات المتقاربة هم أمة واحدة تختلف عن غيرها من الأمم التي تتكلم لغات أخرى مثل السومرية والحورية والحثية وغيرها.

٢- إن هذا الشعب كان يؤمن بنفس الآلهة والعقائد، ويمارس التقاليد والطقوس التي كانت شائعة في هذه المنطقة من الرافدين إلى سينا. بل إن وجود أسماء مثل إسماعيل «يسمع إيل» وميكايل (من-ك-إيل) وغيرها، دليل على أن (إيل) الذي عرفناه الرب الأعلى للناس جميعاً، كان معبوداً منذ الألف الثالث قبل الميلاد، بمعنى أن التوحيد كان موجوداً منذ بداية التاريخ، وانتقل عن طريق العموريين الهكسوس إلى مصر لكي يصبح عقيدة «أخناتون» في القرن ١٥ ق.م.

ما أحب أن ألفت نظر السيد رجا جارودي الذي تحدث قبلي في هذا المجال أن «إيل» كان إله كنعان أيضاً وقد آمن به سليمان نفسه.

٣- إن ظهور أسماء مدن مثل دامسكي (دمشق) أماتا (حماه) مجيدو وأورساليم أي مدينة السلام في كتابات إيبلا، يعنى أن هذه المدن قديمة جداً.

قال جارودي: ولكن يبدو أن هذه الأخبار لا تتفق مع التوراة؟

فأجبته مؤكداً: إن هذه الحقائق تتعارض مع ما ورد في التوراة الذي يرى:

إن شعوب هذه المنطقة تنتمي إلى سام بن نوح «كذا» عدا الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين فهم ليسوا ساميين، بل إن الحوريين أصدقاء الغزاة اليهود اعتبروا ساميين، وهذا أمر عجيب إذ إن الكنعانيين أبرز عنصر «سامي» وإن الحوريين هم آريون، كما تعرفون.

لقد تبين من الدراسات الأثرية، أن الشعوب والحضارات التي تعاقبت على هذه المنطقة تنتمي إلى أرومة واحدة.

وإن الأسماء التي أطلقت على هذه الشعوب والحضارات هي أسماء جغرافية. مثلاً كلمة: عمورو ومعناها اللغوي: سكان الغرب أي بلاد الشام بالنسبة للرافدين. وكنعان معناها اللغوي: سكان الأراضي الواطئة أي الساحل في سورية. وآرام معناها اللغوي: سكان الأعالي في الجبال أو الفرات الأعلى.

وعرب معناها اللغوي: سكان البادية والأماكن الخلوية المائية. وهم جميعاً كانوا أعراباً في البادية ثم استوطنوا مدناً، ومن الأصح أن يطلق على هذه الشعوب اسم العرب نظراً لأصلهم البدوي. أما أن يطلق عليهم اسم

أحد أبناء نوح «سام» فهو أمر لا يقبله المنطق العلمي. وعلى هذا فإن الكنعانيين أجداد الفلسطينيين وسكان الساحل السوري من أوغاريت إلى جبيل وحتى صور بل حتى قرطاج في تونس هم العرب الذين آمنوا بإله واحد أعلى، إلى جانب آلهة رمزية أخرى، ولكن الإله التوراتي (يهوه) الحاقد الذي يدعو إلى قتل الكنعانيين وأطفالهم والقضاء على زرعهم وقطعانهم، إنما يدعو إلى عنصرية إلهية.إنها دعوة سامية عنصرية ضد السامية الحقة. وهذا الأمر من أخطر الفضائح التاريخية.

قال جارودي: إنني أوافق على ذلك ولكن إذا كان هدف بعض الأثريين تأكيد التوراة، فما هو هدفكم أنتم، فأجبته: إن الأفكار المتناقضة التي وردت في التوراة فيما يتعلق بعبادة إيل أو يهوه لم تمنع من اعتبار اسم إسماعيل يطلق لأول مرة في التاريخ على ابن هاجر وإبراهيم «لأن اللّه سمع آلامها»، وإن اسم أورسالم يطلق أول مرة على مدينة القدس في عهد داود بينما نرى الاسمين مألوفين في كتابات إيبلا التي تعود إلى ٥٠٠-٨٠٠ عام قبل تاريخ إسماعيل وداود.

أمام هذه الظروف الصعبة التي يمر بها التوراة ككتاب تاريخي للعهد القديم، كان لا بد من توجيه اهتمام أوسع إلى مصادر علمية لا محل للطعن بها، هي المكتشفات الأثرية التي يتسع مداها يوماً بعد يوم، للتعرف على تاريخ هذه المنطقة وبخاصة فلسطين التي ارتكب بحق هويتها أكبر الجرائم، وقد تم ذلك بوسائل واهية لا تدعمها إلا الأفكار الثابتة التي تناقلناها مع التوراة باعتباره المصدر التاريخي المقدس.

هنا تساءل جارودي، هل أفهم أن علم الآثار لم يعد يعتمد على المصدر التاريخي التوراتي؟ فقلت:

مع احترامنا لجميع الكتب المقدسة، فإن منطق القرن العشرين أو الواحد والعشرين، قرن المتاهيات كما تقولون، يرفض أن نؤرخ حضارة لفلسطين من خلال الوهم والخيال......

وكان جوابنا على سؤاله عن مشروع السلام وعن التطبيع، أن العرب المقبلون على السلام يعرفون جيداً أنهم مقبلون على إقامة علاقات سلمية مع

إسـرائيل، ولكـن الفـرق بـين معنـى التطبيـع عنـد العـرب ومعنـاه عنـد إسـرائيل مختلف جداً، ومعناه عندهم غسل العقل العربي والذاكرة العربية، ومسح الهويـة العربيـة وإحـلال الهويـة الـشرق أوسـطية محلهـا، ثم هـم يريـدون سـيطرة العقـل الصهيوني (المتفوق) على الغوييم. هذه هي معاني التطبيع الإسـرائيلي التي تقـوم على خلفية الشعارات المتمثلة بالنجمة والعلم والدستور التوراتي الذي ينص علـى حدود إسرائيل. والتطبيع يعني التسليم بهذه المسلمات التوراتية.

وفي التلمـود علـى كـل يهـودي أن يبـذل جهـده لمنـع تـسلط بـاقي الأمـم في الأرض حتى تصير السلطة لليهـود وحـدهم، فـإذا لـم تنتقـل الـسلطة إلـيهم عـدّوا أنفـسهم كـأنهم في حيـاة المنفـى والأسـر. ويعـيش اليهـود في حـرب مـع بـاقي الـشعوب حتـى ينتقـل لهـم الثـراء والـسلطان مـن الجميـع، وحينئـذ يـدخل النـاس أفواجاً في دين اليهود.

ولكي يصبح السلام دائماً، ولكي تكون حدود إسرائيل واضحة، كان لا بـد أن تتناول شروط السلام، حذف كل شعار سياسـي يعنـي أن أرض إسـرائيل هـي (من النيل إلى الفرات) وتغيير العلم الإسـرائيلي، والتخلـي عـن جميـع الهرطقـات والأوهام الواهية، وأن يعترفوا بالحقائق التاريخية والعلمية التي أكدتها البحـوث الأثرية التي قام بها علماء من أنحاء العالم ومن إسرائيل أيضاً، وقد عجزوا عـن إثبات التاريخ التوراتي والجغرافية التوراتية.

إن التطبيـع بمفهومـه الدبلوماسـي يعنـي العلنيـة والواقعيـة، بعيـداً عـن النوايا المبطنة بالوعود الزائفة والعقائد التوسعية لإقامة إسرائيل الكبرى.

وإذا كانـت أهـداف اتفاقيـات الـسلام مبادلـة الأرض بالـسلام، فـإن الأرض التي نعني ليست الأراضي المحتلة فقط، بل الأراضـي التـي يحلـم بهـا الإسرائيليون بفعل وعد مزعوم، فالـسلام لا يكـون حقيقيـاً وثابتـاً إذا اسـتمر شعار إسرائيل (مـن الفـرات إلـى النيـل) أساسـاً لـدولتهم، وتعريفـاً لمـا يـسمى بأرض إسرائيل. هذه الأرض التي نفى علـم الآثـار وجـودهم الـسياسـي عليهـا عبر التاريخ القديم.

الفصل الأول

سراب التاريخ التوراتي

١- ألبحث عن العهد القديم خارج فلسطين

٢- الصهيونية غير اليهودية

٣ - أحداث التوراة خارج الزمان والمكان

٤- البحث عن تاريخ فلسطين

٥- إسكات تاريخ فلسطين

١- البحث عن العهد القديم خارج فلسطين

يتضمن التوراة مجموعات واسعة من أسماء الأمم والملوك والأشخاص ومجموعات واسعة من أسماء الأمكنة. ولم تؤكد الكشوف أياً من الآثار التوراتية على أرض فلسطين (٤).

ومن مجموع الأسماء الجغرافية، وجد القليل منها مرتسماً له على الأرض الفلسطينية، مما يعود إلى العهود الكنعانية والفلسطينية. وعندما استطاع الحشمونيين إقامة دولة يهودية مستقرة لقرنين من الزمن (١٤٢ ق.م-٦٣ م) اعتبرهم التوراة ورثة بني إسرائيل، وعملوا على تثبيت الأسماء الجغرافية الإسرائيلية على أرض فلسطين، ثم جاء يوسفوس المؤرخ اليهودي في عام (٧٠م) لكي يتحدث عن تاريخ اليهود من خلال الواقع الجغرافي الذي صوره الحشمونيون ومن خلال التوراة. وسار المؤرخون من بعده على طريقه، حتى المؤرخ ابن إسحاق فقد كان أول من نقل عن التوراة، ويقول ابن النديم عنه «وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول». ولقد أخذ عنه الطبري وابن الأثير في تحديد سلالات الأنبياء وتحديد الأقوام والأمم مما يتفق مع التوراة (٥) .

وعندما نشط علم الآثار لتأكيد أخبار العهد القديم، لم يكن من مسلمات يعتمد عليها إلا الجغرافية التوراتية التي أوجدها الحشمونيين ونشرها يوسفوس. وقام الأثريون على أساسها بمحاولة تأكيد الأساطير التاريخية دونما نتيجة. حتى يأسوا من المسلمات الجغرافية ذاتها، ولكن دون أن يفكروا بالبحث عن أرض بديلة.



خارطة القدس – فسيفساء مأدبا - الأردن

لقد أوجدت نظرية «التوراة جاءت من الجزيرة العربية» لكمال صليبي (٦) مفترجاً لليأس التوراتي، فبعد أن أعلن علم الآثار عن عدم تطابق آثار هذه المنطقة مع التاريخ التوراتي، وعن عدم إثباته لأي من الأحداث التوراتية في هذه المنطقة. ظهرت هذه النظرية الجديدة لكي تنعش الآمال الصهيونية وتقدم لها فرصة عملية لم تكن تحلم بها.

ونحن مع ذلك نريد أن نفهم هذه المحاولة على أنها بحث في حقيقة التاريخ التوراتي وليس بحث عن جغرافية بديلة، فهي إذا لم تلغ هذا التاريخ فلقد حصرته في منطقة محدودة جداً بعد أن كان عرضها الأرض بين النيل والفرات، ثم عرفتنا أن تلك الممالك لم تكن أكثر من قرى أو مضارب للبدو، وأن الملوك ما كانوا أكثر من رؤساء عشائر، وأن هذا المجتمع لم يشكل

حضارة إلا عندما يتجاوز حدوده باتجاه الشمال، وهو أمر لا يمكن البت به وبخاصة بعد فشل الحفريات الأثرية التوراتية.

وهكذا فإن هذا الكتاب يقدم دليلاً جديداً على أن التوراة هو كتاب أدبي ديني وأنه وقد امتلأ بأسماء أمكنة كانت قد فسرت مواقعها على منطقة تمتد من نيل مصر إلى فرات العراق عبر بلاد الشام وسيناء، فإن هذه الأسماء لم تجد لها محلاً على هذه الخارطة الجغرافية المترامية الأطراف.

وإذا كان المؤلف قد حاول إيجاد الخارطة الأكثر انطباقاً على هذه الأسماء، فلقد اعتمد على الشك القائم على ترجمة هذه الأسماء. بسبب التحريف في حركاتها، كما اعتمد على تأويله لأسماء المواقع الحالية في عسير مستفيداً من علاقاتها ببعضها ومن أوضاعها الطبوغرافية، دون أن يبحث في تاريخية التوراة التي اعتبرها دائماً مسلّمة.

ونحن لن نتصدى لهذه التأويلات الجغرافية، لأن علم الآثار لم يتدخل بعد لتأكيدها أو دحضها. ولكننا نريد من هذه المحاولة أن تكون تأكيداً لعزل التاريخ التوراتي عن تاريخ هذه المنطقة، إن هذا سيضع حداً لأي طموح سياسي توراتي، ويقطع الطريق على جميع التفسيرات التوراتية التي فرضها بعض علماء الآثار على المكتشفات الأثرية. ويدفعنا إلى العودة إلى علم آثار موضوعي لا علاقة له بأية خلفية أسطورية، علم يبحث عن الحقيقة التاريخية ضمن حدود منطقة تربطها أواصر قومية تجسدت باللغة الواحدة وبالعقائد الواحدة، وإن دراسة الأحداث أو تطور اللهجات والعقائد بواسطة المكتشفات الأثرية، هو الطريق الصحيح للتعرف على تاريخ وحضارة هذه المنطقة الموحدة عبر عصور بعيدة تبدأ مع بداية التاريخ.

وقد تعترض المؤرخين مسألة التسميات، فنحن نعلم أن أكثر التسميات التي أطلقت على الشعوب كانت جغرافية أو كانت نسبتها إلى

مدينـة أو ملـك، أو كانـت مـستعارة مـن التـوراة، وهـي في جميـع الحـالات ليست مستقرة، ولأن المكتشفات لـم تحـدد بدقـة أسـماء الأقـوام والممالـك القديمة، فإن مرحلة من الإرباك سوف تسيطر على علم التاريخ قد يتأثر فيها بالواقع السياسي الراهن.

على أن دراسة التاريخ على أساس الوحـدة القوميـة التـي كونتهـا اللغـة والعقيدة المشتركة، سيحول دون هذا الإرباك وتبقى التسمية «العربيـة» أكثـر ضماناً لتحديد هوية تاريخ حضارة هذه المنطقة، دون أن يكون لهذه التـسمية أي مضمون عرقي أو عنصري.

يبـدو الكتـاب المـذكور (ر:٦٠) مغـامرة خطـرة في أمـرين: الأمـر الأول جغـرافي فقـد قـسم التـاريخ اليهـودي إلـى قـسمين، قـسم إسـرائيلي وأرضـه عسير، وقسم يهودي وأرضـه فلسطين. وبهـذا يحـاول توسيـع رقعـة التـاريخ التـوراتي، معتمـداً علـى فرضـيات ألْـسنية تقـوم علـى تعـديل في التـسميات الكنعانية القديمة. وتعديل في التسميات الجغرافية القائمة اليوم في عسير، وهـي فرضيات ضعيفة لا تـدعمها المعـاني المشتركة التـي لـم يـستطع توضـيح أكثرهـا. بـل يـذكر المؤلـف «أن هـذه الدراسـة لا تتطـرق إلـى أصـول أسـماء الأمـاكن المـشار إليهـا ومعـاني هـذه الأسـماء». والأمـر الثـاني تـاريخي. فلقـد قلّص الأمـم المـذكورة في التـوراة إلـى مجـرد قـرى ومـضارب بـدو كـالعموريين والكنعانيين والحثيين بل والمصريين وسكان بين النهرين، فهو بذلك قـد ألغـى تـاريخ الـشرق الأوسـط، أو علـى الأقـل ألغـى التـسميات الحـضارية في هـذا التـاريخ. ولكنـه لـم يـستطع أن يقـدم دلـيلاً لأسـماء الـشعوب التـي شـكلت حـضارات ضـخمة أكـدتها الكشوف الأثريـة، مـع أنـه يعتـرف بهـدف محـدد لمؤلفه، إذ يقول «إن هـذا الكتـاب هـو توضـيح لغـوامض التـاريخ التـوراتي عـن طريق إعادة النظـر في خريطـة التـوراة» ثم يقـول «إن مقولـة الكتـاب لا تـأخـذ علم الآثار بالاعتبار».

وهكذا فإن مؤلف الكتاب إذ ابتعد عن التصدي لتاريخ العرب وأصولهم في هذه المنطقة، وهو هدف هام كان عليه أن يقوم به، قد انزلق إلى وهم اكتشاف، وأوقع نفسه في بلبلة كما يقول. وأسترسل في تأويل التسميات دون أن يعتمد على علم اللغات ولا على علم الآثار ودون أن يهتم بتاريخ المنطقة غير التوراتي، ويُسلم دونما جدل بالتاريخ التوراتي الأسطوري، ويخلق نظرية في تقسيم تاريخ اليهودية، ويفترض أن خارطة توراتية واحدة قد تركت ظلها على عسير أولاً ثم على فلسطين ثانية. وأن أحداثاً حقيقية ذكرتها التوراة، إذا لم يؤكدها علم الآثار في فلسطين فلأنها وقعت في عسير، وإن أحداثاً أخرى حدثت في فلسطين بعد القرن السادس قبل الميلاد لم يكتشفها بعد علم الآثار.. مجموعة من الافتراضات الخيالية تجعل هذا الكتاب بعيداً عن العلم والموضوعية وهو لا شك مغامرة عابثة لاتقبل من مؤرخ معروف.

٢- الصهيونية غير اليهودية

مازالت حكاية الحق المقدس تروى بجدية وقناعة بتأثير التوراة، ولكن كيف أصبح التوراة ناموس العقيدة المسيحية في أوربه. وكيف أصبحت السياسة الأوربية نصيراً في مرحلة ما للصهيونية؟. سنقرأ جواب هذا السؤال في كتاب (الصهيونية غير اليهودية) لمؤلفته ريجينا الشريف (٧).



يختلف التوراة عن الإنجيل، فلقد اعتمد المسيحيون في العالم ومنذ قسطنطين الأول (٣١٠م) على الإنجيل فقط، ولم يكن التوراة مصدراً من مصادر العقيدة المسيحية في أوربا، ولكن الإصلاح الديني الذي دعا إليه مارتن لوثر في القرن السادس عشر، فسح في المجال للاهتمام بالعهد القديم، ولقي ذلك معارضة مما دفع إلى وصم لوثر باليهودية، ولقد عرف باسم (الراعي اليهودي) لمعاداته الطقوس المسيحية، ولأنه نشر كتاباً بعنوان «عيسى ولد يهودياً». ونادى بحسن التعامل مع اليهود «وعدم اضطهادهم وعدم معاملتهم كالكلاب». ولكن عندما وجد لوثر أن اليهود ابتدأوا يستغلون هذا الموقف ويجمعون أنصارهم ضد المسيحية، تنكر لهم وأصدر كتاباً عام ١٥٤٤ موضوعه «اليهود وأكاذيبهم».

ولذلك انقلبت الأمور عليه فكان أول من اتهم باللاسامية من اليهود العنصريين، وما يزال كذلك تقديرهم حتى اليوم. على أن أتباعه من البروتستان رضخوا إلى مهادنة اليهودية ودعوا إلى دراسة التوراة واعتماده، وأصبحت التوراة جزءاً من طقوسهم الكنسية، مما أعطى الفرصة لليهود في أوربا أن يعلنوا منذ القرن السادس عشر عن شخصيتهم كأمة، وأن يتعاونوا مع البروتستان لإعلان أساطيرهم الثلاث، الشعب المختار، والبعث اليهودي للمسيح، وأرض الميعاد.

وسار أتباع كالفن في إنكلترا في طريق موازية، بل إن التوراة أصبح «أدبهم الوحيد» ومرشدهم وفيلسوفهم، وأصبح أطفال البوريتان (اتباع كالفن) يسمون بأسماء توراتية عوضاً عن الأسماء الإنجيلية.

وشهدت إنكلتره في القرن التاسع عشر عودة إلى المفاهيم البوريتانية التي جعلت من أساطير سفر الرؤيا أساساً لفلسفة لا تقوم على العقل

والمنطق. وفي بداية القرن العشرين كان المبشرون الإنجيليون قد سلموا نهائياً «بحقوق الشعب القديم» وكانوا هم أصحاب الشعار الذي اعتمدته الصهيونية «وطن بدون شعب لشعب بدون وطن».

ويبدو واضحاً أن هذه المواقف لم تتضمن احتراماً كاملاً لليهود. بل هي محاولة للخلاص منهم وليس لخلاص أنفسهم، فكان الرأي السائد أنهم «متعجرفون، سود القلوب، منغمسون في الانحطاط الخلقي والعناد والجهل بالإنجيل».

ومع ذلك مازال حتى اليوم من يعتقد أن عودة اليهود كأمة إلى القدس وفلسطين، هي بشرى الألف عام السعيدة، التي وردت في سفر الرؤيا، ولكن الشرط الهام لتحقيق ذلك هو تحول اليهود للمسيحية، ويعتقد أصحاب هذا المذهب أن عودة اليهود إلى القدس هو مقدمة لعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة الله في الأرض والتي ستدوم ألف عام.

ومع أن أوغسطين وضع حداً لهذا الزعم في كتابه (مدينة الله)، إذ اعتبر فكرة العصر الألفي السعيد مجازاً، وهي حالة روحية تحققت في عيد العنصرة أي بعد موت المسيح وبعثه. إلا أن ذلك الاعتقاد مازال سارياً. فما تضمنته بروتوكولات حكماء صهيون في بازل ١٨٩٧ من مبادئ الصهيونية، لم يكن أكثر من تثبيت الأساطير التوراتية الثلاث وهي: أسطورة الشعب المختار أي أنهم أمة منفصلة عن الآخرين، وأسطورة الميثاق التي ترتكز على الارتباط السرمدي الدائم بين الشعب المختار والأرض المقدسة كما وعد ربهم يهوه، والأسطورة الثالثة هي أسطورة عودة المسيح المرتقب.



خارطة القدس

عاشت هذه الأساطير التي صنعتها الصهيونية على افتراءات موجهة إلى المسيحية والإسلام، فالمسيحية ما زالت تنتظر مجدها بالعودة إلى موطن المسيح (De civitate Dei) الذي سيعود بعد تشرد طويل، ومازال كثير من الفقهاء المسلمين يجهلون أن رب إسرائيل ليس هو رب العالمين. ومنذ أن ترجم التوراة إلى اللغات الأوربية أصبح تاريخ المنطقة العربية لا يعرف إلى من خلال الأساطير والقصص التاريخية والخرافات الواردة في العهد القديم، ولم تؤخذ على حقيقتها بل قبلت دونما تمحيص عقلي.

وكان هذا التحريف التاريخي بدعة كرسها الإصلاح الديني، ومع ذلك فلقد كانت فكرة ترحيل اليهود من أوربا إلى فلسطين مقبولة لديهم، على الأقل لأمر واحد كما كان يقول مارتن لوثر «إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم، لا لشيء إلا للتخلص منهم، إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا (٨)».

وفي القرن الثامن عشر كان فولتير ينتقد بشكل لاذع تقديس التاريخ اليهودي واعتبار الشعب اليهودي أقدم شعب عرفه الإنسان، ولكن الدعوة الصهيونية استمرت شاغل اليهود المنتشرين في أنحاء أوربا، وكانت دعوتهم ونشرهم لأخبار التوراة في كل مناسبة تتم بالاستعانة برجال الدين وبالعلمانيين أيضاً، الذين أفسحوا في المجال لأساطير العهد القديم كي تحل محل الأساطير الإغريقية الرومانية، تم ذلك في الأدب والشعر كما تم في الفن تصويراً ونحتاً.

ولم تكن الأهداف الصهيونية طارئة، بل هي أهداف قديمة تقوم على نزعة السيطرة والاستنزاف المادي.

إن العنصرية القومية التي كشف عنها الغطاء واضحة في بروتوكولات حكماء صهيون (٩)، والتي كونت العداء بين الصهيونية وباقي الشعوب، رافقها دائماً عنصرية دينية كونت العداء بين اليهودية وباقي الأديان. ولكن كان من جملة أهداف أوربا أن تبعد اليهودية عنها باحثة لها عن وطن آخر، وإن تحديد هذا الوطن بفلسطين قلب البلاد العربية يعني زرع شعب غريب اللسان والعقيدة والتاريخ والأهداف على أرض العرب المقدسة، لكي يحول هذه القدسية لغير أهلها، ولكي يجعلها قاعدة لبث عمليات التخريب القومي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، في أجزاء الوطن العربي المجاور لفلسطين، وبذلك تكون الإمبريالية قد حققت هدفاً مزدوجاً. كما ذكر ليلنتال في كتابه (إسرائيل ذلك الدولار الزائف).

لقد أعلن رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٠٢، وهو كامبل باترمان «ثمة قوم يسيطر على أرض واسعة زاخرة بالخيرات الظاهرة والباطنة، وتسيطر هذه الأرض على مفترق طرق العالم، وهي مهد الحضارات الإنسانية والأديان، ويجمع هذا القوم دين واحد ولغة وتاريخ واحد وآمال واحدة،

لايعزل بينهم أي حاجز طبيعي يحول دون الاتصال والاتحاد، ولو تم ذلك، أي لو اتحدت هذه الأمة في دولة واحدة في يوم من الأيام، لتحكمت في مصير العالم، ولعزلت أوربا عنه. لذلك يجب زرع جسم غريب في قلب هذه الأمة عازلاً من التقاء جناحيها، ويشتت قواها في حروب مستمرة، ورأس جسر ينفذ إليه الغرب لتحقيق طموحاته» (١٠).

وهكذا فإن الصهيونية تلاقت مع الاستعمار في جميع مراحل انتشارها. ونذكر أن كرومويل سمح في العام ١٦٥٥ لليهود بالعودة إلى بريطانيا لاستخدامهم كجواسيس.

وصرح الصهيوني هرتزل (سنقيم هناك حائطا لحماية الحضارة الغربية في وجه الهمجية). وفي مرحلة الثورة الصناعية تنامت الدعوة لتوطين اليهود في فلسطين لحماية طريق الحرير.

ويتضمن الاتفاق الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل في العام ١٩٨٤ العمل على خدمة المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة.

٣- أحداث التوراة خارج الزمان والمكان

أصبح الحديث عن حقيقة إسرائيل أرضاً وتاريخاً من الأمور القومية الأساسية لكي يتمكن المفكر أن يضع تفسيراً لواقع سياسي مرير أصاب الوجود العربي. والفكر الصهيوني يعتمد على مراجع (مقدسة) آمن بها اليهود وغيرهم في أنحاء العالم، مما جعل قيام دولة إسرائيل مبرراً أمامهم، بل جعل المطامع الاستعمارية الصهيونية مبررة أيضاً، بل أصبح الوطن من النيل إلى الفرات شعاراً مقدساً، مما يهدد الوجود العربي ويحدد مدى المطامع الاستيطانية الصهيونية.

على أن موقف الفكر العربي لن يكون دفاعاً لصد هذه المطامع وحسب، بل هو موقف موضوعي لا بد لدعمه من العودة إلى التاريخ والبحث الأثري للكشف عن حقيقة هذه المزاعم والمبادئ.

لقد كانت حركة الإصلاح الديني في أوربا بداية ظهور الدعوة القومية الصهيونية، ذلك أن التوراة أصبح جزءاً أساسياً من الكتاب المقدس لاحتوائه على الوعد بالمسيح المنتظر..

واعتبر التوراة سجل تاريخ الدولة اليهودية القديمة، وخاصة سفر الرؤيا، واعتبر المسيح واحداً من سلسلة طويلة من الأنبياء، بل ارتبط بنسبه بآل إبراهيم.

ومن المؤسف أن ما ورد في التوراة من أساطير وقصص أخذ على أنه حقيقة تاريخية، وأصبح شعار العودة إلى أرض الميعاد ينمو يوماً بعد يوم، إلى أن قام نابليون بونابرت بحملته باتجاه مصر وفلسطين، داعياً اليهود إلى

مناصـرته، موجهـاً إلـيهم ـ في رسـالته الطويلـة نـداء توراتيـاً قـائلاً فيـه: «يـا ورثـة فلسطين الـشرعيين، سـارعوا، إن هـذه هـي اللحظـة المناسـبة التـي قـد لا تتكـرر لآلاف السنين، للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم.» (ر:٧)

وإذا لـم يـستطع نـابليون أن يحقـق لليهـود مطـامعهم الأسـطورية، فـإن اتفاقية سـايكس بيكـو (١٢) حققـت جانبـاً هامـاً ممـا يريـده الـصهاينة، فلقـد أعطت فلسطين هوية جغرافية مستقلة عن بلاد الشام، تم ذلك لأول مرة في التـاريخ. ولـم يكـن اليهـود يحلمـون بوعـد جزئـي كوعـد بلفـور الـذي اعتـرف بوجود الشعب اليهودي بعد أن كانت اليهودية مجـرد ديـن، واعتـرف أن لهـذا الشعب حقاً في أرض (فلسطين التوراتية) حسبما ورد في التوراة.

إن هــذا الاعتــراف غيــر المــشروع كــان ذروة انتــصار الــصهيونية العالميـة في أمـرين؛ أولاً تحويـل الـدين إلـى قوميـة، وثانيـاً تحديـد مـساحة جغرافيـة وجعلهـا وطنـاً تاريخيـاً. ولقـد انتقـد الكاتـب اليهـودي المعـروف ليلنتـال في كتابـه (إسـرائيل ذلـك الـدولار الزائـف) ربـط الـدين اليهـودي بوطن محدد.

ولأن التـوراة أصـبح المـصدر الأساسـي للتـاريخ القـديم الـذي جـرت أحداثه في منطقتنا العربية، فإن علماء الآثار اتجهوا إلى هذه المنطقة باحثين عن آثار هذا التاريخ القديم. ولقد التقت جهودهم عن قصد أو غيـر قـصد، بالأهداف الصهيونية التي تريد أن تؤكد طبيعـة الأرض التاريخيـة، وأن تؤكـد أحـداث التـوراة وتـاريخهم ووجـودهم علـى مـسرح الأحـداث الهامـة، ودورهـم الديني المتميز.

٤- البحث عن تاريخ فلسطين

يعترف الأثريون أن أعمال التنقيب التي ابتدأت في فلسطين منذ عام ١٨٦٥ كانت خاطئة، ولم تستفد الصهيونية ولا التوراتيين من بعثة الأثري البريطاني وارين /١٨٧٦/ أو الأثري الفرنسي تيرى /١٨٩٠/ في الكشف عن آثار توراتية.

بل إن ألبرايت الشهير لم يأت بأي كشف هام (١٣)، على الرغم من أنه استفاد من تصنيف الفخار لتحديد الأزمنة التي ربطها عبثاً بالأزمنة التوراتية.

لقد كان هدف جمعية صندوق استكشاف فلسطين (١٤) التي كانت وراء هذه البعثات الأثرية البحث وفق منهج دقيق ووثيق في آثار الأرض المقدسة وطبوغرافيتها وجيولوجيتها وجغرافيتها الطبيعية، وعادات سكانها وتقاليدهم وذلك من أجل هدف أساسي هو إيضاح التوراة.

وكان من أبرز من قام بالتنقيب في فلسطين والأردن فيما بعد، غلوك الذي قال: «كلما كنت أذهب مستكشفاً كنت استعمل التوراة كدليل للآثار، وأثق ثقة مطلقة بمعلوماتها وشواهدها وحتى تلميحاتها».

ومنذ العام ١٩٥٢ قامت كينيون بحفرياتها في أريحا (١٥) فنقضت أكثر ما جاء به اليرايت، وبخاصة ما يتعلق بمزاعم تاريخية توراتية، وابتدأت أعمال التنقيب تسير باتجاه أكثر موضوعية. أما فيما يتعلق بجغرافية الأرض المقدسة فلقد أعلن في ١٩٤٤ عن تأثير المسح الأثري

الذي أكد وجود ٢٨٦٢ موقعاً أثرياً في فلسطين، ثم قام أهاروني بوضع دراسة عن الجغرافية التاريخية يتضمن فصلاً عن أسماء المواقع الفلسطينية القديمة مأخوذة عما ورد في التوراة أو الكتابات المصرية والسورية المكتشفة.

إن جميع المحاولات الاستكشافية في فلسطين والأردن وسورية لم تقدم أي دليل قاطع على أن ما ورد في التوراة كان حادثاً تاريخياً، ولم تؤكد أن المواقع التي وردت فيها تتطابق في وضعها وعلاقتها ببعضها مع ما هو قائم في فلسطين.

إن عدم تطابق الأحداث التوراتية مع المكتشفات الأثرية كان موضع خيبة أمل كبيرة للعلماء الذين ابتدأوا ينفصلون عن الحدث التوراتي لمصلحة الحدث المكتشف، وقد أعلن ذلك صراحة عدد كبير من العلماء من أمثال لاب وديفر وفرانكن وماتييه، بل أصبح الاعتماد على التاريخ التوراتي عبثاً يتحاشى العالم الموضوعي التنويه به. ولعل اكتشاف آثار إيبلا في تل مرديخ (سورية) (١٦) كان فاصلاً في تحويل علماء الآثار نحو الموضوعية العلمية وتجاهل الهدف التقليدي السابق، وهو تأكيد الأحداث التوراتية.

ومع ذلك فإن ثمة أحداثاً توراتية محضة مازالت تحتاج إلى بحث، وهي تبدأ بقصة إبراهيم الخليل ومجال دعوته، وقصة موسى وجنسية قومه، ثم أرض التوراة وحدودها الجغرافية.

إن بعض البعثات التنقيبية التي أقامت مراكزها في القدس وعمان، ما زالت جاهدة في البحث التنقيبي دون أن تعلن عن يأسها بعد، لقناعتها المطلقة بالتوراة، وإن المصدر التاريخي التوراتي مازال مسلمة لفئة واسعة جداً من توراتيي العالم، الذين ترسخت في أذهانهم الأسطورة على أنها

حقيقة، وليس يفرحهم أن تتكشف حقيقة الأسطورة، بقدر ما يهمهم أن تتأكد على أنها هي الحقيقة.

ولكن إذا ما انفصل التوراة عن التاريخ، تصبح الأحداث التوراتية من أمور العقيدة التي لا تدخل في نطاق علم الآثار، أو هكذا يجب أن تكون.

والحق أن خيبة الآمال المتتابعة التي أصيب بها علماء الآثار التوراتيين، جعلتهم يشكون في أرض التوراة ذاتها، فإذا كانت جميع أعمال التنقيب لم تؤكد بعد ما إذا كانت المواقع التوراتية مثل أورشليم أو جرار أو بئر السبع. هي ذاتها المعروفة اليوم، فإن هذا يعني أحد أمرين، فإما أن يكون التاريخ التوراتي لهذه المواقع مزعوماً، وإما أن تكون هذه المواقع هي غير المواقع التوراتية.

وفي الحالتين فإن الشك يقع مرة على التاريخ التوراتي ومرة أخرى يقع على الجغرافية التوراتية، وأخيراً نرى أن الشك يقع على الزمان والمكان التوراتيين بوقت واحد، فإذا كان الأمر كذلك فإن الوجود الصهيوني كله يصبح دونما إحداثيات جغرافية أو تاريخية.

ولكن لابد من القول إن اليهودية كدين أمر قائم منذ زمن قديم، ولكن لم يؤكد العالم الأثري بعد تاريخ اليهودية كما ورد في التوراة.

وصحيح أن تعاليم اليهودية كانت موضع اهتمام الديانتين المسيحية والإسلامية، وأن ثمة علاقة بين الأديان الثلاثة. ولكن السؤال من هم اليهود الأوائل، هل كانوا من سكان هذه المنطقة أم كانوا من سكان منطقة بحر الخزر، وما علاقتهم ببني إسرائيل، أي آل إبراهيم وأعقابه؟.

وهل جميع يهود العالم هم ورثة بني إسرائيل، وبمعنى آخر هل يشكل اليهود قومية متميزة تنتسب إلى بني إسرائيل، أم أن هذا الدين كان مفتوحاً لمن يؤمن به، وأن علاقة اليهود ببني إسرائيل هي علاقة دينية وليست عرقية قومية، وأن بني إسرائيل أي آل إبراهيم قد انتهوا مع يوسف وأن لا علاقة لموسى وقومه بالإسرائيليين.

إن هذه الأسئلة لم تجد جواباً علمياً من قبل الأثريين التوراتيين رغم جهودهم، وحتى إبراهيم الخليل فإن البرايت يرى أن تاريخه يعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، بينما يرى البعض أنه يعود إلى ما قبل عهد السبي في القرن السادس أو السابع قبل الميلاد، وعند اكتشاف وثاق إيبلا، ادعى أحدهم أن إبراهيم الخليل يعود إلى القرن الرابع والعشرين...كذا تبدو الهزائم التي مني بها علم الآثار التوراتي أكثر خطورة على وجود إسرائيل من أي قرار دولي.

٤- إسكات تاريخ فلسطين

ليس سهلا أن نتحدث عن تاريخ فلسطين واضحا من خلال الحفريات الأثرية في فلسطين، ذلك أن علم الآثار يتعرض إلى مؤثرات سياسية وإيديولوجية هيمنت عليه.

وجميع أعمال التنقيب أتت خاضعة للبحث عن إسرائيل القديمة وليس عن فلسطين القديمة. هذا البحث الذي افتقد دائما لتحديد مفهوم تأريخي دقيق واضح، وإلى تخطيط استراتيجي علمي للبحث في هذا التاريخ بعيدا عن سيطرة الباحثين عن التاريخ الإسرائيلي المدعوم بالخطاب التوراتي والعقيدة اليهودية والدعم غير اليهودي.

وعلى الرغم من تسرب معارف أثرية موثقة عن تاريخ فلسطين عرضها علماء نعترف بموضوعيتهم على رأسهم بردويل Bredwel ومدرسة الحوليات الفرنسية. فان فقدان الدراسات الواسعة عن التاريخ القديم، والاكتفاء بالبحث في تاريخ فلسطين بعد الإسلام في القرن السابع ميلادي وحتى العصر الحديث، وعدم دراسة العصر البرونزي والحديدي وحتى العصر الروماني، فإنها ما زالت بحاجة إلى مشروع منهجي موسع. ولقد نوه ادوار سعيد في كتابه «الاستشراق» أن فلسطين كانت وطنا لحضارة عريقة ولكن هذه الحضارة لم تذكر إلا في جملة قليلة.

والواقع إننا ما زلنا ننتظر من المفكر والمؤرخ الغربي أن يكتب لنا تاريخ فلسطين القديم بحسب سياسته الاستشراقية التي نقدها ادوار

سعيد، ونادرا ما نرى أبحاثا علمانية عن تاريخ فلسطين، لعل أهمها الدراسات التي قدمها العالم ايستروم Aeistrom والذي يعد رائدا في رد الاعتبار لتاريخ فلسطين.

ولعل كتاب «اختراق إسرائيل القديمة وإسكات التاريخ الفلسطيني» لمؤلفه كيت وايتلام k.Whitelam (١٨) قد أوضح كيف أن مجموعة من الأفكار والفرضيات المتكررة باستمرار مازالت تشكل الخطاب التوراتي وما زالت تشوه تاريخ فلسطين القديم نظرا لأهمية البحث في تاريخ إسرائيل، والنظر إلى هذا البحث بأنه الأكثر أهمية لتحديد تاريخ هذه الأرض. وينادي مؤلف هذا الكتاب بضرورة وضع البحث عن تاريخ فلسطين مستقلا عن البحث عن تاريخ إسرائيل الذي جعل الزمن الفلسطيني أو العربي الكنعاني جزءا محدودا وهامشيا في زمن التاريخ.

وما زال الخطاب التاريخي التوراتي يعتمد على القوة، مع الادعاء المستمر من انه خطاب علمي معرفي موثق، كما يدعي ديفيز Ph.Davies في كتابه «إسرائيل القديمة». ومن المؤسف ان الإلحاح المستمر على متابعة البحث في التاريخ الإسرائيلي أوجد خطابا توراتيا معتمدا عند الباحثين في تاريخ الشرق القديم وبخاصة في فلسطين، حين أدى هذا الخطاب إلى اختراع إسرائيل الجديدة.

ولقد اهتم بالتاريخ الإسرائيلي مجموعات أكاديمية لا هوتية، ونادراً ما ترى هذه الدراسات جزءا من برامج الجامعات العلمية والعلمانية، مما يؤكد أن البحث في تاريخ إسرائيل هو بحث ديني وليس بحثا علميا تاريخيا، ومازال تاريخ فلسطين القديم مهمشا، لا وجود له إلا كخلفية لتاريخ إسرائيل. وأسكتت هذه الدراسات اللاهوائية كل جنوح نحو البحث عن تاريخ فلسطين، وهو جزء من السياسات الاستشراقية التي وصفها ادوار سعيد

بالانحراف نحو تأكيد التفوقية الحضارية لشعوب المستشرقين على شعوب الشرق. وهكذا فإن التغلب على الخطاب التوراتي ليس سهلا، وخاصة بعد أن تحكمت في عقل الباحثين المصادر المكثفة عن تاريخ إسرائيل وعن أحداث التوراة، في حين يجهد الباحث العربي في البحث عن تاريخه للحصول على مشهد آثاري أو أي وثائق جادة. على أن تزاحم الأبحاث الأثرية في منطقتنا، ونجاحه في اوغاريت وايبلا والقدس وأريحا والتي نشرت والتي لم تصل أصداؤها إلى أسماع المؤرخين العرب، مازالت سندا يساعد في التعرف على تاريخ فلسطين المندمج مع تاريخ المنطقة في العصر الكنعاني.

ولا بد أن نعترف بخطورة الأبحاث المدعومة ماليا وسياسيا وعقائديا والتي أجراها العلماء الممولون من «صندوق استكشاف فلسطين Exploration fund of Palestine الذي أنشئ في العام ١٨٤٥، وكان هدفه المعلن البحث في أثار وجغرافية وتاريخ فلسطين لإثبات التراث الإنجيلي المرتبط بالتراث التوراتي منذ عهد مارتن لوثر. وكانت أول أعمال هذا الصندوق إجراء مسح شامل في ٢٦ خارطة واستمر العمل من عام ١٨٧١- ١٨٧٥. ونشرت مجلات هذا المشروع في العام ١٨٨٨ وأعيد طبعها ١٩٩٨ وأطلق على المواقع أسماء توراتية مع تغيير أو تحريف واسع للأسماء الكنعانية والعربية. ولقد استطاعت الدعاية الإسرائيلية إدراج تفسيرات مفترضة في «ناموس الكتاب المقدس» أشار إليها عبد الوهاب المسيري في موسوعته «اليهود و اليهودية والصهيونية» (٢٧) وأبان أن الدعاية الصهيونية نجحت في ترسيخ الأفكار التوراتية عند الباحثين الأجانب قبل الاسرائيلين. وبلغ التشوه حدا جعل قصة الصراع بين داوود وجليات الفلسطيني الاكادي، قصة تفوق اليهود بقوة ذكائهم على جليات القوي بسلاحه وعضلاته والضعيف بذكائه وفطنته، مع أن هيرودوت يتحدث عن الفلسطينيين أنهم فاقوا اليهود تمدنا وعمرانا.

ويتحدث وايتلام في كتاب اختلاق إسرائيل عن وهم الاعتقاد بوجود مملكة إسرائيل. ويؤكد أن اليهودية لم تكن إلا لحظة عابرة في مسيرة التاريخ الحضاري في فلسطين. وانه يجب دراسة تاريخ فلسطين مستقلا عن تاريخ إسرائيل على أن يعتمد التاريخ الأول على الدراسات المتعاقبة والوثائق التي يفتقدها تاريخ إسرائيل، في ما عدا مصدر التاريخ التوراتي الذي يدفع إلى شعار «العودة إلى ارض الأجداد وليس القدوم إليها» كما كان يردد وايزمن الزعيم الصهيوني لقد نصّ صك الانتداب الانكليزي على وعد بلفور، ونص على إنشاء وطن قومي لليهود، وعلى إنشاء قانون للآثار يفسح في المجال إلى تأكيد البحث في تاريخ إسرائيل على ضوء الأحداث التوراتية. وكان العالم البرايت W.F.Albright أول الأثريين المقيمين في فلسطين من ١٨٩٩-١٩٧١ إلى جانب العالم غارستانغ J.Garstang البريطاني الذي تولى إدارة الآثار في فلسطين تحت سيطرة صموئيل المفوض السامي البريطاني اليهودي، والذي وجه التنقيب باتجاه البحث في تاريخ إسرائيل، وليس في البحث في تاريخ فلسطين.

واندفع إلى التنقيب والبحث والكتابة في تاريخ إسرائيل على ضوء التوراة، كل من البرايت ورايت Wright وغيرهم.

ثم ابتدأت معارضة اتجاههم من العالم فنكلشتاين Finkelstein ووايت وايتلام Whitelm. وطومسونThomson الذي حورب بشدة، وطرد من جامعته وتلقته جامعة كوبنهاغن في الدانمارك، واعترفت أن طومسون كان [دقيقاً في بحثه وشجاعاً في مناهضته للأفكار غير العلمية. ويؤكد وايتلام انه لابد للعرب و الفلسطينيين من إثبات تاريخهم وفضح محاولات استعمارية تعتمد على قوة عظمى، اختلقها التوراتيون كانت تدعم إسرائيل

القديمة وصوروها على أنها إمبراطورية بدوافع سياسية لتبرير احتلالهم أرضا ليست لهم. بينما يرى وايتلام «أن إسرائيل القديمة لم تكن إلا خيطا رفيعا في نسيج التاريخ الفلسطيني».

ولكن الهيمنة الصهيونية اليهودية وغير اليهودية مازالت تعمل على طمس معالم الحضارة الكنعانية وعلاقتها بالعرب بوصفها جذرا أساسيا للهوية الثقافية العربية في فلسطين لغة وعقيدة كما رأينا.

الفصل الثاني

وطن اليهود

١- أبعاد الأرض المقدسة

٢- مواطن اليهود

٣- هجرة يهود بحر الخزر

٤- الصهيونية ونفي الآخر الفلسطيني

١- أبعاد الأرض المقدسة

عندما قامت الدعوة الصهيونية على يد الصحفي هرتزل والتي تبلورت في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٦ في مدينة بال السويسرية (ر:٩٠)، اعتبرت الوعد الإلهي بالعودة، مطلباً قومياً ودينياً. وعندما قام وعد بلفور عام ١٩١٧ (١٧) لتأكيد هذا الوعد وتأييده من بريطانيا رسمياً، وبدعم من الولايات المتحدة ممثلة برئيسها ولسن، لم يدر بخلد أية جهة أوربية أن تكون حدود هذا الوطن، أرضاً واسعة تمتد من النيل إلى الفرات.

ولكن قرار التقسيم الذي صدر عام ١٩٤٧ عن الأمم المتحدة كان واضحاً- رغم مخالفته لمبادئ حق تقرير المصير-، في تحديد الرقعة الجغرافية التي ستقوم عليها الدولة اليهودية، والتي أسمت نفسها إسرائيل. وضمن هذه الحدود أصبحت إسرائيل عضواً في منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨.

ولكن الإسرائيليين لم يقبلوا بهذه الحدود، التي تتنافى مع مفهومهم لأرض إسرائيل (ايريتس يسرائيل) الماثلة حدودها في الذاكرة منذ ست وعشرين قرناً كما يقول هرتزل، وكانت فكرة (التوسعية الصهيونية) أو إسرائيل الكبرى، هي الهدف المقدس، واعتبروا القبول بهذه الحدود المقررة تجديفاً وخيانة قومية، وكانت قناعة المعتدلين أن هذا القسم المقرر من فلسطين، هو رأس حربة لتكوين (إسرائيل الكبرى)، فما هي حدود إسرائيل الكبرى هذه؟.

إن الوعد الذي ورد في التوراة في سفر التكوين (١٥/١٨) ينص (في ذلك اليوم قطع الرب (يهوه) مع إبرام (إبراهيم) ميثاقاً قائلاً، لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات).

ولكن هذا الوعد متناقض مع ما ورد في سفر العدد (٣٤/١-١٢) وفيه تبدو أرض الميعاد صغيرة جداً، تقتصر على فلسطين وبعض الأراضي المجاورة.

مع ذلك فلقد بقي هاجس اليهود في العالم هو تحقيق إسرائيل الكبرى، وقد تمثل في الشعار الذي نقش على جدار الكنيست، ويتضمن ما ورد في سفر التكوين، أي من النيل إلى الفرات. كما يتمثل في الخارطة التي نقشت على العملة الإسرائيلية وقد هيمن عليها الشمعدان الإسرائيلي. ثم هو يتمثل بمفهوم النجمة السداسية المؤلفة من مثلثين متصالبين يمثل رأس كل مثلث، الأقانيم الثلاثة، المادة والطاقة في الأسفل والعقل في الأعلى، والمثلثان المتصالبان يؤلفان نجمة هي العالم، ولكن المثلث الأول ورأسه إلى أعلى يمثل إسرائيل، والثاني ورأسه إلى أسفل ويمثل الآخرين (الغوييم). وهكذا فإن النجمة السداسية تمثل العقل اليهودي الصهيوني المؤهل- بحسب العقيدة الصهيونية - لحكم العالم والآخرين العاجزين عن استخدام الطاقة والمادة التي يملكون.

وعندما صمم العلم الإسرائيلي كان مؤلفاً من لون أبيض مستطيل، يمتد من أعلاه ومن أسفله شريطان بلون أزرق، وفي وسطه نجمة إسرائيل. والشريط الأعلى يمثل نهر النيل، والشريط الأسفل يمثل نهر الفرات. أما اللون الأبيض الذي بقي غير محدد، فهو يمثل أرض إسرائيل الموعودة.

ولكن لماذا سميت الدولة الغاصبة باسم إسرائيل، ولم يطلق عليها اسم فلسطين كما وردت في وعد بلفور.

حسب التوراة كانت ثمة دولة صغيرة في منطقة السامرة، حكم فيها شاؤول وداود وسليمان لمدة قرن واحد قبل أربعة قرون من كتابة التوراة، ومع أن الحفريات الأثرية لم تؤكد وجود هذه المملكة، إلا أن الصهاينة أرادوا إحياءها بعد ثلاثين قرناً.

لقد انفضحت أهداف الصهاينة التوسعية لتحقيق إسرائيل الكبرى في مبادئ أحزابها وبخاصة حزب حيروت الذي كان منظمة إرهابية تسمى الأرغون يقودها بيغن، فلقد رفضت التقسيم وطالبت بحدود إسرائيل التاريخية، ثم ظهرت منظمة إرهابية تسمى غوش ايمونيم التي نادت بالاستيطان في كل أرض إسرائيل، تدعمها جماعة كاخ الإرهابية (١٨).

لقد تأكدت هذه الأطماع بالتوسعات المتتالية التي نفذتها حتى اليوم، وكان أولها توسع عام ١٩٤٨ ثم التوسع الكبير الذي تم بعد حرب ١٩٦٧ وما أعقبه من قرار ضم القدس، ثم قرار ضم الجولان ثم احتلال لبنان ١٩٨٢، ولقد أعلن حزب العمل الحاكم في ذلك الوقت، أن إسرائيل تشمل فلسطين والقدس وسيناء ومرتفعات الجولان وقطاع غزة وشرم الشيخ، في المرحلة الراهنة فقط.

إن حدود الدولة اليهودية كما حددت بقرار التقسيم ١٩٤٧، لم تتعدل دولياً حتى الآن، وقرارات مجلس الأمن تنص على إعادة الأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧، ويهدف مؤتمر السلام إلى تنفيذ هذه القرارات، وكان اتفاق كمب ديفيد مع مصر، ثم اتفاق وادي عربة مع الأردن، قد تم دون الاعتراض على الشعارات والمبادئ التوراتية التي تضمنها الدستور والتي جعلتها الأحزاب السياسية هدفاً. ولم تطالب واحدة من الدول العربية المفاوضة التنازل عن هذه الشعارات كشرط من شروط السلام، كما فعلت إسرائيل عندما اشترطت على الفلسطينيين تعديل ميثاق منظمة تحرير فلسطين، والتنازل عن هدفها التحريري. كما اشترطت علينا التطبيع.

٢- مواطن اليهود خارج فلسطين

انتشرت اليهودية في بعض أجزاء العالم، واعتنقها أقوام مختلفة مثل أقوام بحر الخزر، وأقوام في أوربا الشرقية (بولونيا) أو أوربا الغربية (ألمانيا وفرنسا وإنكلترا). وانتشار اليهودية لا يختلف عن انتشار الأديان والمذاهب الأخرى ولا يعني بالضرورة انتشار القوم أو الأمة التي تبنت هذا الدين أو المذهب، فليس كل من يدين بالمسيحية ناصرياً، وليس كل من يدين بالإسلام في أنحاء العالم قرشياً، وهكذا فإن علاقة يهود العالم بتاريخ (إسرائيل) ويهودا في السامرة والجليل هي علاقة خرافية يدعمها الارتباط الديني بأحداث التوراة، كأنما الجغرافية التوراتية هي من القدسية حتى أصبحت موئل اليهود وفقرة في معتقداتهم، وحتى أصبح الانتماء إلى الدين انتماء إلى وطن قومي كان قد منحه رب اليهود (يهوه) لبني إسرائيل.

ودون أن يناقش العالم المتقدم من هو يهوه، وهل هو رب العالمين أم هو رب لأطماع اليهود كما تصوره التوارة صراحة، ودون أن يميز بين الدين اليهودي وآل إبراهيم الخليل الذين يطلق عليهم اسم الآباء أو بني إسرائيل، فإن اليهود يتجاوزون المنطق والتاريخ ويؤكدون على تفوق منحه الرب لقوتهم، فجعلهم القوم المختار، ووعدهم بأرض من النيل إلى الفرات.

إن رب إسرائيل لم يكن يوماً هو رب المسيحيين، ولم يكن هو رب المسلمين، بل لم يكن إله أزلياً قديماً، بل كان بركة خاصة أخذها اليهود عن أهل مِدّيَن لكي يدعموا وجودهم في أرض كنعان، أو يدعموا مطامعهم في الاستيلاء

على أرض فلسطين التي لم تكن لهم خلال التاريخ إلا خلال فترة وجيزة خلال قرنين فكانت لهم رقعة صغيرة عاشوا فيها قبل إن يشردوا في المنفى.

قبل مئة عام وفي الخامس من أيار ١٨٩١ ابتدأت هجرة جماعية من يهود روسيا باتجاه ما، وكانوا يطمعون بالهجرة إلى الولايات المتحدة، حيث كانت موئلاً لليهود الذين وجدوا فيها الأرض الموعودة منذ أن هاجروا من إنكلترا بحثاً عن ملاذ من ظلم الملك جيمس الأول، وهناك كانوا قد أقاموا مدناً تحمل أسماء توراتية، مثل صهيون ويهودا والخليل، بيت لحم وجيروزاليم (القدس).

كان طموح اليهود الروس أن يعيشوا في كنعان الجديدة (أمريكا)، كنعان التي كانت أملهم ليتمتعوا بالعسل واللبن والخيرات، ولم تكن فلسطين أرضهم كما لم تكن أمريكا أرضهم، ولكنهم كانوا يهاجرون إلى حيث يجدون فرصاً أفضل وخيرات أوفر.

ولكن اليهود الروس لم يكونوا كيهود إنكلترا، لقد كوّن الأخيرون مجتمعاً إنكليزياً مطابقاً لمجتمعهم السابق، وكانوا يرفضون هؤلاء الروس القادمين، لأن هجرتهم لم تكن قومية بقدر ما كانت نفعية.

وتعارضت المنافع بين سكان أمريكا من الإنكليز وبين الروس اليهود، وعلى الرغم من وحدة الدين رفضوا بشدة هجرتهم إلى أمريكا، تماماً كما تفعل أمريكا اليوم التي تفتح أبوابها للأرمن الروس مثلاً وتغلقها في وجه اليهود الروس، وتدفعهم دفعاً نحو فلسطين.

كانت الهجرة اليهودية الروسية متقطعة، إلى أن جاءت قرارات مؤتمر برمودا عام ١٩٤٣ التي تضمنت تبني سياسة الباب المفتوح لهجرة اليهود، ولقد حصر الكونغرس هذه الحرية بالهجرة لفلسطين وحدها وكان قراره هذا أشد تأثيراً في تأييد حقوق اليهود المزعومة من وعد بلفور نفسه.

كانت هجرة اليهود الروس قبل قرن نتيجة المذابح التي شملتهم، وكانت هجرة اليهود الألمان وغيرهم نتيجة مذابح هتلر. وقد صرح الرئيس ترومان: (إننا نريد أن نسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، بقدر الإمكان، وعند قيام دولة يهودية هناك فسوف تتم الهجرة وفق أسس سليمة). وفي رسالته إلى الملك عبد العزيز بن سعود ١٩٤٨ لم يتورع ترومان من إيضاح الهدف الأساسي من توسيع نطاق الهجرة إلى فلسطين إذ قال: «ليساهموا بمواهبهم وطاقاتهم في إقامة الوطن القومي اليهودي».

لقد أراد ترومان أن يُمتدح ويكرّم إذ يمنح نفسه لقب قورش، وهو الملك الفارسي الذي سمح لليهود في بابل أن يرحلوا من منفاهم، وتفرقوا شتاتاً لا نعرف مقرهم الجديد، ومن المتفق عليه لدى المؤرخين أنه لم يكن فلسطين ذاتها رغم ما تراه التوراة.

ونحن نسمع اليوم من يقول (ر: ٦)، إن اليهود نشأوا في عسير في الجزيرة العربية، وعندما عادوا من المنفى توزعوا في أماكن مختلفة منها فلسطين، وهناك أسسوا مراكز أطلقوا عليها أسماء منطقة عسير التوراتية. وهو قول غير علمي وغير موضوعي، ولكنه يعبر عن تشتت اليهود في العالم.

٣- هجرة يهود بحر الخزر

لـم يمنـع انتـشار اليهوديـة مـن اسـتمرار مـن دان بهـا بتبعيتـه لقومـه وتقاليـده كمـا كـان شـأن اليهـود في تيمـاء أو اليهـود في منطقـة بحـر الخـزر (قزوين). إن أصـل اليهـود الـروس الـذي ابتـدأوا بـالهجرة إلـى فلسطين قبـل قرن والذين يزحفون اليوم نحو القدس بأعداد رهيبـة، هـم مـن المغـول الـذين كـانوا يعيـشون في جـوار مـصب نهـر الفولغـا في بحـر الخـزر. وكـان الرحالـة العربي ابن فضلان عام ٩٢١ م قـد زار المنطقـة بـأمر مـن الخليفـة العباسـي، وسـجل ملاحظاته في كتابه (رسالة ابن فضلان)، وهـي أقدم ما كتب عن يهود الخزر.. ويذكر ابـن فـضلان وقـد نقـل عنـه يـاقوت وأضـاف عليـه، إن الخـزر مملكة عاصمتها إتيل وملكهم يطلق عليه اسم (يلك) وهو يهودي، ولقد اعتنق أهـل الخـزر اليهوديـة عـن ملكهـم، ولكـن (الغالـب علـى أخلاقهـم أخـلاق أهـل الأوثـان) إذ بقـي أهـل الخـزر علـى عـاداتهم وثقـافتهم ولغـتهم. حتـى عنـدما اعتنقوا الإسـلام مرة على يد مروان بن محمد ثم ارتدوا.

ويعتقـد المؤرخـون أن ملـك الخـزر اعتـق اليهوديـة منـذ عـام ٨٠٩م، ولكـن اليهودية كـدين للدولـة لـم تـستمر طـويلاً، فلقـد قـام الـروس بحملـة في منتـصف القرن العاشر وشردوا اليهود الذين انتشروا في أنحاء روسيا وانتشر معهم الدين اليهودي في أنحاء مختلفة من أوربا، وهم (الأشكناز) الذين يـشكلون نـسبة عاليـة من يهود العالم، وكان عددهم في روسيا عام ١٨٩٧ نصف مليون نسمة.

وبعد أن زحف اليهود مهاجرين خـارج الاتحـاد الـسوفياتي تحـت سـتار حقوق الإنسان وحرية الهجرة. عرفوا أنهم كـانوا في ظـل الاتحـاد الـسوفياتي الشيوعي أحسن حظاً منهم في عصر القياصرة، بل إنهـم يتمتعـون بـضمانات

وحقوق دينية استثنائية، ويسيطرون على مرافق الاقتصاد والمال، ولكن ازدواجية الولاء الراسخة لدى جميع يهود العالم، دفعتهم إلى الهجرة.

كان الدافع المعلن لهجرتهم هو البحث عن مناخ ليبرالي آمن، ومع أن هذا المناخ يتوفر في أمريكا أولاً، إلا أن أمريكا وضعت موانع حازمة دون هجرتهم إليها لسببين، السبب الأول لكي تدعم الوجود اليهودي في فلسطين المحتلة، بعد أن عاد الوجود العربي إلى التزايد حتى فوجئ الإسرائيليون أن السكان العرب في (إسرائيل) يزيدون عدداً عن اليهود.

والسبب الثاني لأن يهود أمريكا يكرهون يهود الخزر ويعتبرونهم سبب كثير من المشاكل في الولايات المتحدة، بل إنهم سيكونون سبب انهيار أمريكا كما يقول مؤلف كتاب (الصهيونية لعبتها أمريكا)، وهو كتاب صدر في دالاس بأمريكا ١٩٥٦ ونقل إلى العربية وفيه يقول المؤلف: «إنه ضد هؤلاء وإنه إنما ينشر هذا الكتاب كي يسهم بتقديم معلومات دقيقة عن المشاكل التي خلقتها فئة أقلية تحمل مبادئ متنافية ومتعارضة مع تقاليد الأمريكيين، وتتجه بحماس نحو أهداف تهدد مصالحنا وتؤدي إلى الدمار».

لقد أراد الرئيس ترومان أن يسمي نفسه (قورش الثاني)، ولست أدري ماذا نسمي ساسة أمريكا اليوم الذين يبحثون عن مخرج لإنقاذ وجود (إسرائيل) من الخطر المحدق بها باعتبارها وجوداً استعمارياً استيطانياً غربياً، وذلك من خلال حل أو اتفاق مباشر وتحت مظلة شعار (الأرض مقابل السلام). ثم هم ينادون بحرية الهجرة، ولكن أية حرية مقيدة بجهة محددة هي (إسرائيل)، وأي حق يقام على أنقاض حقوق الآخرين من أصحاب الأرض الأصليين؟.. هل لدى أصحاب حقوق الإنسان جواب على هذا السؤال؟

إن أولئك المهاجرين من يهود روسيا يتركون وطنهم الأم وطن أجدادهم وموطن تاريخهم الملتحم بتاريخ روسيا والاتحاد السوفياتي، والذين يعلنون انفصالهم عن هذا الوطن وهذا التاريخ، لا يمكن أن يوصموا بعد ذلك إلا بالخيانة لوطنهم، هذه الخيانة التي كانوا يمارسونها دائماً...

٤- الصهيونية ونفي الآخر الفلسطيني

تقوم الصهيونية على العقيدة التوراتية من أن اليهود هم «شعب الله المختار» وفي سفر التثنية: (١٤:١) «لأنك شعب مقدس للرب إلهك. قد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً، فوق جميع الشعوب على وجه الأرض».

ويرمي التوراة بجعل اليهود شعباً مقدساً مختاراً أن يسيطر هذا الشعب على الأغيار «الغوييم» بل والقضاء عليهم للسيطرة على طاقاتهم وإمكاناتهم كما ورد في سفر التثنية (١٠-١٧): «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة واحدة، بل تقضي عليهم، الحثيون والعموريون والكنعانيون والحوريون واليبوسيون كما أمرك الرب».

وواضح أن التوراة يخلط في تصنيف الأمم ولا يميز بين الساميين وغيرهم، حتى تورط باعتبار الكنعانيين واليبوسيين أعداء لا بد من قتلهم مع أنهم أصل الساميين، وبذلك جعلهم المؤرخون الإسرائيليون أعداء السامية.

ويصل حقد التوراة على الأغيار، بأن أمر بقتل الأطفال: «اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً..... (عد ٣١-١٧-١٨).

ولقد عاقب الرب الملك شاؤول بالموت لأنه لم ينفذ أوامره التي وردت في سفر صموئيل الأول: «فالآن اذهب واقتل عماليق... ولا تقف عنهم بل اقتلهم رجلاً وامرأة وطفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً وجملاً وحماراً»

وكذلك أمر الرب بقتل هارون ثم قتل موسى وجعل القيادة إلى يشوع الذي قتل موسى بيده وحل محله في قيادة المصريين التائهين في سيناء، ورضي الرب عن يشوع لأنه نفذ أوامره.

«احرقوا المدينة بالنار (أريحا)، واقتلوا كل من فيها من رجل وامرأة من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم، والحمير بأمر إلههم يهوه» (يش-٢١).

وتوسع كتاب التلمود في تأكيد سلطوية اليهود على الأغيار (الغوييم)، ويرى أن العقيدة اليهودية تقوم على أنه من واجب اليهود مقاومة تسلط الأغيار أي باقي أمم الأرض، حتى تصير السلطة لليهود وحدهم على العالم، ويتوعد التوراة والتلمود اليهود أنهم إذا ما أخفقوا في سيادة العالم، سيعيشون على هامش الحياة أذلاء في المنفى والأسر.

ويحض التلمود اليهود على ممارسة الحرب المستمرة ضد باقي شعوب العالم، حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من جميع الأغيار. وعندها يتاح للناس الدخول في الدين اليهودي أفواجاً. ولقد نبه مندلسون (١٧٢٩-١٧٨٦) إلى أن اليهود سجنوا أنفسهم في غيتو فكري قبل سجنهم في غيتو اجتماعي.

واعتمدت بروتوكولات حكماء صهيون التي وضعت كخطة في مؤتمر بال ١٨٩٨ بإشراف هرتزل. وتنص هذه التعاليم والخطط على دعوة اليهود للسيطرة على العالم أجمع، وتأسيس حكومة ملكية استبدادية مقرها أورشليم أولاً، ثم تستقر إلى الأبد في مدينة روما.

ونصت هذه الخطط على ضرورة المباشرة بتنفيذ هذه التعاليم، بعد أن عاش اليهود زمناً طويلاً، شتاتاً في بلاد المنفى. وعندما نشرت هذه التعاليم المسربة باللغة الروسية، انفضحت النوايا العدوانية والاستعمارية للصهيونية القائمة على الحقد والكراهية للأغيار، والعقيدة بحق اكتساح العالم للاستيلاء على مقاديره، عندها قامت السلطات الروسية باعتقال زعماء اليهود وأمرت بإعدامهم. ويعترف المؤرخون الإسرائيليون الجدد أنفسهم أن المحرقة كانت نتيجة لتلك العقيدة الصهيونية بالاستيلاء على خيرات العالم وأرضه.

لقد كانت فضيحة البروتوكولات سبباً في تشديد النفور من الوجود اليهودي في بلدان العالم حيث سعى قادتها إلى عزلهم.

كان الغيتو ضاحية محددة في المدن الكبرى تكاد تكون محصنة يعيش فيها اليهود منعزلين عن المجتمع المحيط بهم. ويتحدث عبد الوهاب المسيري عن انتقال اليهود من مرحلة الكمون إلى مرحلة التجمع في ضاحية تعزلهم عن الأغيار في غيتو تضم مجموعات من اليهود تفصلهم عن المجتمع لممارسة وظائف قتالية وتجارية والاضطلاع بوظائفه كريهة أو مشبوهة.

الشعار المرسوم على العملة الإسرائيلية والمتمثل بخارطة إسرائيل من النيل إلى الفرات،والعلم الذي يرمز إلى المكتوب في الكنيست الإسرائيلي ضمن العبارة التوارتية التي يعدهم فيها ربهم (يَهْوَه) بهذه الأرض، لا تجعل مجالا للشك أن إسرائيل ستمضي بالمطالبة بهذا الحق الإلهي، طالما كان التاريخ التوراتي مصَدّقاً يقوم على العقيدة من أن اليهود هم «شعب الله المختار اختاره الرب لكي يكون له شعباً خاصاً، فوق جميع الشعوب على وجه الأرض».

ويرمي التوراة بجعل اليهود شعباً مقدساً مختاراً أن يسيطر هذا الشعب على الأغيار «الغوييم:.

وتتوضح عقيدة دولة إسرائيل بشعار النجمة السداسية المؤلفة من مثلثين وترمز رؤوس كل مثلث إلى العقل في القمة وإلى المادة والطاقة في رأسي القاعدة، وجعلت المثلث الأعلى ممثلاً لليهود والصهيونية، والمثلث الأسفل ممثلاً للأغيار، وهكذا يصبح العقل الإسرائيلي في أعلى النجمة مهيمناً على الطاقة والمادة في العالم كله.

ومازال هذا الشعار رمزاً للعقيدة التوراتية التي تبنتها الصهيونية في إسرائيل والتي تؤكد عقائدياً أن العقل اليهودي هو وحده، بوصفه مقدساً وإلهياً، هو القادر على قيادة العالم بإمكانياته الواسعة.

ولقد اعتمد شمعون بيريز في كتابه «الشرق الأوسط» على هذا الشعار عندما اعتقد بكل صلف أن الشرق الأوسط يحتاج إلى العقل اليهودي العبقري لقيادة سياسة الشرق الأوسط الاقتصادية.

ورفضت المسيحية هذه العقيدة الشريرة في النظر إلى الأغيار وورد في رسالة القديس بطرس الثانية: «زيدوا على إيمانكم بالفضيلة، وعلى الفضيلة بالتعقل، وعلى التعقل بالتقوى، وعلى التقوى بالمودة الأخوية، وعلى المودة الأخوية بالمحبة».

وأدان القرآن الكريم بني إسرائيل في سورة المائدة: «من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل، أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً...»

ولا بد أن نتذكر هنا وصايا الخليفة أبي بكر الصديق إلى المسلمين والمطابقة لهذه الآية الكريمة.

وفي إسرائيل مجموعة من المؤرخين والأساتذة الجامعيين في التاريخ وعلم الاجتماع ظهروا تحت شعار ما بعد الصهيونية، وقد نشروا أفكارهم باللغة الإنكليزية خارج إسرائيل، معتمدين على الأرشيف الإسرائيلي الذي فتح وكشف عن الأعمال القتالية المجرمة التي قام بها الجيش الإسرائيلي في لبنان وفلسطين. وأعلن أحدهم المؤرخ إيلان بابي أنه يحب إعادة كتابة التاريخ الإسرائيلي لكي نسجل الكلام عن الضحايا والمحرومين من العرب ومن اليهود المهاجرين من البلاد العربية. وقد نظر إليهم الإسرائيليون على أنهم مجرد مادة إنسانية.

وتوسع هؤلاء في ذكر الدمار والموت والتشريد الذي أصاب العرب من جراء إنشاء دولة إسرائيل. ويفضح المؤرخ بني موريس سياسة بن غوريون في عملية الترحيل Transfer والتي تحققت بتهجير مليون فلسطيني عن أرضهم بعد مجازر قبية ودير ياسين وغيرها. ويؤكد إيلان بابي أن المحرقة تحولت إلى سلاح انغرس في صدور الفلسطينيين الأبرياء، كما يؤكد أن الادعاء بالشعب المختار أخذت طابعاً عنصرياً عدائياً.

ويجب أن نتذكر جيداً أن المستعمرين الإنكليز في فرجينيا في عام ١٦٢٣ كانوا يعتقدون أنهم (شعب الله المختار) وأن من حقهم إفناء الشعب الأصلي شعب كونوي إفناءً كاملاً، واحتلال موقعه على نهر أوهايو، وجعله عاصمة أطلق عليها اسم واشنطن وكان اسمها دنكان.

وفي حفريات عام ١٩٧٥ كانت الحفارات في حديقة البيت الأبيض تعمل على حفر مسبح لسيد القصر، عندها فوجئ علماء الآثار باكتشاف رمم بشرية تعود إلى مدينة دنكان وشعب كونوي، فأمر الرئيس بوقف الحفر وإعادة التراب فوق المقبرة التي حملت اسم حديقة الورد.

الفصل الثالث

التنقيب عن التاريخ

١- البحث عن تاريخ إسرائيل في القدس وأريحا

٢- البحث عن الهيكل المزعوم

٣- المكتشفات الأثرية تنفي العودة من المنفى

٤- التنقيبات الإسرائيلية في القدس

٥- هوية اليبوسيين من خلال رسائل تل العمارنة

١- البحث عن تاريخ إسرائيل في القدس وأريحا

مازال أضخم إسفين استعماري ثقافي دق في صدر البلاد العربية، هو إسفين إسرائيل، فإذا كان الاتفاق بين الشرق والغرب جاهزا لإعلان قيام دولة إسرائيل في مجلس الأمم المتحدة، فلأن الثقافة التوراتية التي لم يكن في العالم من يعارضها، كانت سبب قيام هذه الدولة على أنقاض دولة عربية الطابع منذ عهد الكنعانيين اليبوسيين وخلال خمسة آلاف عام.



قبل الخمسينات لم يكن أمام الأثريين الذين يبحثون في تاريخ الشرق القديم من مصادر إلا ما رواه التوراة، وكان أكثر المتحمسين للمصادر التوراتية، الأثريون والمؤرخون من أمثال: أولبرايت وأهاروني و غلوك الذين اعتمدوا

التصنيف على هدى الأحداث التوراتية، فعندما اكتشفوا تحصينات في القدس نسبوها إلى داوود. وكذلك نسبوا موقعا في تل المتسلم اعتبروه إسطبلات سليمان... على أن جميع هذه التأويلات الوهمية التي صفق لها التوراتيون بحماسة، لم تلبث أن تراجعت أمام دراسات علماء الآثار بعد عام ١٩٥٢.

بدأت الحفريات الأثرية في القدس منذ عام ١٨٦٧ بعد إنشاء صندوق الاستكشاف الفلسطيني، وكانت بإشراف السير وارن بحثاً عن مدينة سالم في عهد اليبوسيين. ثم قامت بعثة بريطانية سنة ١٩٠٩-١٩١١ تحرياً عن الهيكل والقصر في عهد سليمان. وتابع الأب فانسنت الحفريات بحثاً عن نفق يؤدي إلى خارج الأسوار، وادعى أن الجدار الجنوبي من سور الأقصى يعود إلى عهد سليمان. وفي سنة ١٩٢٣-١٩٢٥ تم اكتشاف سور وبرج نسب إلى داوود، وفي كل مرة كان المنقبون يربطون مكتشفاتهم بالتاريخ التوراتي، دون الاعتماد على تاريخ الفخار، بل كان المنقبون يعتمدون على ما ورد في سفر الخروج وسفر يشوع (الإصحاح ٧-٩-١٠)، وفيه أن العبرانيين خرجوا من مصر بقيادة موسى، ثم تاهوا في سيناء، وعند مرورهم من شرقي الأردن (كما في سفر العدد) احتل موسى والقبائل الاثنتى عشرة جزءاً من أراضي مؤاب، وبعد مقتل موسى من جماعته في موقع يسمى نبو، تولى القيادة يشوع ابن نون فقطع نهر الأردن إلى أريحا. ويخبرنا سفر يشوع أن أريحا كانت مدينة كنعانية مسوّرة ومنيعة، وأن العبرانيين لم يتمكنوا من اختراق أسوارها إلا بمعجزة من يهوه الذي هدم الأسوار أمام العبرانيين الذين طوفّوا حول الأسوار سبعة أيام وهم ينفخون بالأبواق احتفالاً، ثم دخلوا أريحا فهدموها كلها وقتلوا سكانها.

على هدى هذه الأخبار التي فرضت على الأثريين باعتبارها توراتية مقدسة، فإن الأثري غارستانغ Garstang خلال حفرياته عام ١٩٣٠-١٩٣٦ في أريحا، أعلن أنه عثر على شواهد تؤكد تدمير أريحا زمن يشوع، إذ اعتقد أنها كانت محصنة بسور كان الإله يهوه قد هدمه أيام يشوع، كما يقول التوراة (١٩).

ولكـن الـسيدة كـاتلين كينيـون Kenion قامـت في أريحـا ١٩٥٢-١٩٥٨ بحفريات هامـة كانـت سـببا في هزيمـه جميـع الأفكـار والاسـتنتاجات الـسابقة، (ر:١٥) وكانت السبب في إعادة النظر في كل ما كان يعتبر من المسلمّات، وأثبتت أن سـور أريحـا المكتشف يعـود إلـى العصر البرونـزي القـديم، وأنـه لا صـحة ولا حجـة مـن أن العبـرانيين احتلـوا أريحـا، بخاصـة أن سـفر القـضاة يتحـدث عـن معاركهم وأنه لا يوضـح أنهم احتلـوا كل فلسطين، بل هـم الخبيـرو الـذين كـانوا طبقة من المحاربين المرتزقة ذوي أصول حضارية ولغوية مختلفة كما يرى ميك.

وفي عـام ١٩٦٠-١٩٦١ اسـتمرت الـسيدة كينيـون العالمـة البريطانيـة بالتنقيب في القدس (٢٠) وأريحا معتمدة على تاريخ الفخـار المكتشف، وكـان هذا تحولا هاماً في تاريخ البحث الأثري، **إذ نستطيع تحديد تاريخ الفخار أو أي جسم عضوي عن طريق فحص تبدد أشعة الفحم ١٤ فيه، وخلال خمسة الألف عام.**



استطاعت هذه العالمة الجريئة أن تنقض جميع الفرضيات التي قامت على المدلول التوراتي غير العلمي بنظرها، ولم يلبث جميع الذين خالفوها في البداية أن أعلنوا صواب وموضوعية اكتشافاتها. وآخر تقاريرها يؤكد أن ما حسبه المنقبون من أسوار و أبراج تعود إلى عهد داوود، أو من قوس اعتقد روبنسون أنه يعود إلى عهد داوود أيضا، هو خطأ، بل إن جميع هذه المنشآت تعود إلى القرن الثاني الميلادي، أي إلى العصر الروماني. ونفت أن تكون الأحجار من بقايا الهيكل.

استاء الإسرائيليون من هذه النتائج، وقرروا استئناف التنقيب في المنطقة المتاخمة لجدار الحرم الشريف، في الزاوية الجنوبية الغربية، وكان ذلك بعد احتلال القدس سنة ١٩٦٧، وتولى التنقيب العالم الإسرائيلي مازار ومساعده بن دوف، (ر:٣) وكانت المفاجأة باكتشاف آثار ثلاثة قصور ومسجد من العصر الأموي، وأعلنا أن هذه القصور قد استمرت عامرة خلال العصر الأموي والعباسي والفاطمي.

حضر هذا الاكتشاف وزير الدفاع دايان المشجع والمتابع لعمليات الكشف عن الهيكل، فأعلن استياءه وطلب نقض هذه الآثار للبحث تحتها عن سويات قد تكشف عن الهيكل، وتابع المنقبون عملهم ولكنهم تأكدوا أن أقدم ما يمكن العثور عليه يعود إلى عصر هيرودوس في بداية الميلاد، وليس من بين البقايا ما يعود إلى هيكل هيرودوس، حتى تاج العمود المنسوب إليه فهو يتسم بطابع مصري.

وتابعت جميع الحفريات التي تمت في فلسطين بعد حفريات السيدة كينيون انتصاراتها على الروايات التوارتية، ولم يستطع الأثريون بمن فيهم الإسرائيليون، تقديم أي دليل أثري على مرويات التوارة، بل لقد أثبتت هذه الحفريات أن ما ذكره المنقبون من تصورات تتعلق بما سمي قلعة شاؤول في

تل الغسول، وما يسمى بتحصينات داوود في القدس، أو إسطبلات سليمان في تل المتسلّم، هي كلها تصورات وهمية قام الأثريون بافتراضها، ولم تكن هناك ثمة آثار تعود إلى عهد داوود أو سليمان، وأن برج داوود يعود إلى الفترة الهلنستية وأنه لا وجود لإسطبلات تعود لزمن داوود. حتر شكك الباحثون بحقيقة الدين اليهودي (٢١).



جدار البراق

٢- البحث عن الهيكل المزعوم

يذكر التوراة أنه في طرف على جبل موريا في مدينة القدس، كانت مدينة صهيون (والكلمة كنعانية وتعني الأعالي) التي عرفت باسم مدينة داوود، وفيها نشأت أورشليم ضمن مساحة صغيرة بنى عليها الملك سليمان سنة ١٠١٣ق.م هيكلاً. تم ذلك بمساعدة ملك صور أحيرام،

ولقد أطنب التوراة بوصف هذا الهيكل الأول الذي هدم سنة ٥٨٨ق.م من نبوخذ نصر، ويذكر أن هذا الهيكل أعيد بناؤه بشكل متواضع سنة ٥١٦ق.م. وفي عصر هيرودوس الذي نصبه الرومان ملكا، أعاد بناء الهيكل، وقد بالغ العالم دوفوغيه بوصف تفاصيل هذا الهيكل استنادا إلى التوراة وإلى الوصف الذي أورده المؤرخ يوسيفوس، ولقد هدم الرومان هذا الهيكل بأمر تيتوس سنة ٧٠م فأين هي آثار هذه الهياكل (٢٢)؟

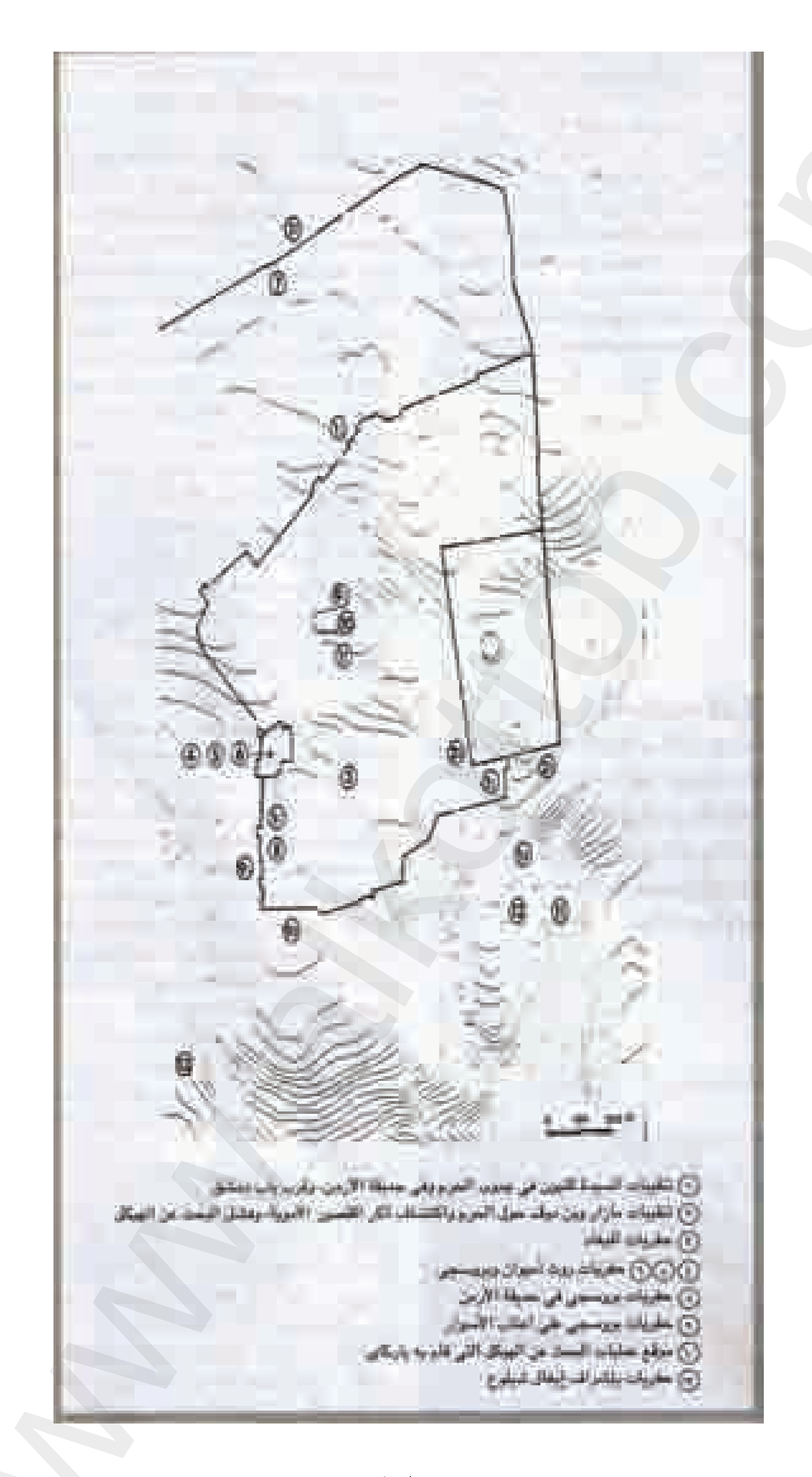
إن هذه الأعمدة والتيجان والسواكف والواجهات الحجرية الضخمة التي وصفت، لم يعثر على أي منها رغم التنقيب الكثيف، مع أن الأحداث التي تلت لا تبرر أبداً فقدان أي أثر للهيكل القديم الذي يعود إلى سليمان أو الهيكل الذي يعود إلى عهد هيرودوس. لقد يئس المنقبون من العثور على آثار الهيكلين، وتسألوا ما إذا كانا قد بنيا من الطين والآجر، أو لعله لم يكن من هيكل بل مجرد مذبح، أو أن أحجارهما قد أعيد استعمالها في أبنية محدثة؟



من حفريات القدس

استمر هاجس البحث عن الهيكل يشغل وزارة الأديان ومصلحة الآثار في إسرائيل، لتأكيد وجودهم تاريخياً في القدس، وكثيراً ما حاول الإسرائيليون التنقيب تحت الحرم الشريف مما يؤثر على بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة والأبنية الإسلامية الأخرى في الحرم الشريف. ولم تستطع أعمال التنديد وقرارات الشجب والمنع التي وجهتها منظمة الأمم المتحدة، أن توقف أعمال البحث عن الهيكل في منطقة الحرم.

إن العثور على آثار تعود إلى عصر الحديد ولا تنتسب إلى التاريخ التوراتي، أصبح يفزع إسرائيل، ويدفعها إلى التعتيم على نتائج التنقيب الفاشلة. فالفشل في العثور عل أثر الهيكل، يعني نفي مدينة داوود وأنها لم تكن حقيقة، وأن عدم اكتشاف هيكل هيرودوس يعني أن اليهود لم يتمتعوا بعهده باعتراف السلطة الرومانية، بل إن التوراة يذكر أن هيرودوس كان أكثر الحكام بطشا باليهود، وهذا يتناقض مع القول بتشييد هيكل لهم لا نظير له، لم يعثر على أي أثر لهذا الهيكل.



ولكن اليهود في القدس (أورسلام) اعتقدوا أن الجدار الداعم للحرم الشريف من جهة المسجد الأقصى،هو من أحجار الهيكل وحتى بداية القرن العشرين. وعندما عرض الخلاف على عصبة الأمم المتحدة، شكلت في العام ١٩٣٠الجنة دولية علمية لدراسة هوية الجدار، وأطلق على هذه اللجنة اسم لجنة البراق (٢٣)، وأثبتت أن تلك الأحجار التي تشكل الجدار تعود إلى الأوقاف الإسلامية، وهي جزء من الحرم الشريف، ولا علاقة لها بالهيكل. ولكن اليهود استمروا على زعمهم وجعلوا من هذا الجدار جداراً للبكاء على ماضي الهيكل. وبعد العام ١٩٧٦ تضاعفت مساحة هذا الحائط من ٣٠ متراً إلى ١٠٠متر، على حساب حي المغاربة هناك، حيث أزيلت معالم مئتي عقار إسلامي.



الحفريات الحديثة

المثير للانتباه، أن التوراة لم يتحدث عن معبد إله اليهود (يهوه) إلا باكترات قليل، بل ذكر أن سليمان لم يكن قلبه مع الرب كما كان أبوه داوود، وأنه بنى على الجبل تجاه أور سلام، معبدا لإله المؤابيين وآخر لإله العمونيين، واستمرت هذا المعابد أكثر من ٣٥٠عاماً. (مل،١١: ١-٨). مما يدعو إلى الاعتقاد أن الهيكل لم ينشأ للعقيدة اليهودية، إذ إن سليمان أنكر عبادة يهوه وعاد لعبادة الإله العليّ، والهيكل لم يكن لعبادة يهوه. ثم إن بناءه وحسب أوصاف التوراة، يشابه الأبنية والمعابد البسيطة السورية في غوزانا (تل حلف) وحماتا (في حماة) وأوغاريت (في اللاذقية) وشمأل (زنجرلي) والساحل الفينيقي. وأبان التوراة أن أحيرام ملك صور أمر ببناء الهيكل وأرسل لذلك عماله، وأطلق عليه اسم هيكال وهي كلمة فينيقية، وكان لصور سلطان ونفوذ على سليمان.

٣- المكتشفات الأثرية تنفي العودة من المنفى

يرى الأثريون أن القدس ذاتها لم تكن مساحتها أكثر من ١٦ هكتارا، وأن مدن إسرائيل ويهودا لم تتجاوز مساحتها ٦-١٠هكتارات، بينما كانت مساحة المدن المعاصرة في آشور أكبر بكثير، فهي تصل إلى ٧٢٠ هكتارا في نينوى، و٣٦٠هكتارا في كلح، وكذلك المدن الآرامية مثل حماه وحلف، أو الحثية مثل قرقميش، ولذلك فإن الأسوار الفلسطينية كانت محدودة.

ويتحدث التوراة عن عودة اليهود من المنفى في بابل، بمساعدة قورش ملك الفرس بعد نصف قرن من السبي الأول، وعن عددهم. ويتساءل الأثري رولي خاريش قائلاً: (إن الحفر الأثري في القدس، أبان أن عدد السكان خلال فترة النفي لم يتناقص، فهل هذا يعني أن النفي لم يكن صحيحاً، أم أن المنفيين كانوا قلة وليس كما ورد في التوراة)؟!.

ويقول هذا الأثري (إننا لم نعثر على أثر لإسكان جديد خلال عصر الحديد وفي فترة ما يسمى بالعودة، وبقيت المنطقة المسماة مدينة داوود وحدها المسكونة على صغر مساحتها). مما يخالف نظرية كمال صليبي (ر:٦).

وجميع الحفريات التي تهدف الكشف عن عصر الاحتلال الفارسي والحكم الهلنستي، لم تكشف عن آثار هامة، بل نراها من خلال جرار عليها كتابات روديسيّة وأختام باللغة الآرامية، وهي أقدم أختام رسمية وجدت في القدس. أما المباني الرومانية فهي أكثر وضوحاً، ولقد أطلق عليها العامة أسماء توراتية خطأً.

ويقول أفيغاد (إن الحفريات الراهنة في الحي اليهودي في القدس، أغنت معرفتنا عن حضارة المدينة خلال عهد أسرة هيرودوس من ٨٧ق.م-٧٠م أي خلال مئة وخمسين عاما كانت فيها القدس زاهرة العمران واكتشفت بعض الدور المزخرفة بالفسيفساء والفريسك وهي رومانية الطابع.) ولم يكتشف أي أثر للهيكل أو لوجود يهودي.

ويقول الأثري زافرير: (إن القدس في عام ٧٠م، أصبحت تحت حكم تيتوس الروماني الذي أحرق المعبد وهدم المدينة، ولم يبق منها إلا بعض الأسوار القديمة في منطقة الجنوب حيث استفيد منها لحماية جنوده). في ذلك الوقت حملت القدس أسم إيليا كابيتولينا، وإيليا هو الاسم الأول لأدريان، ثم احتل البيزنطيون الشرق.

بيد أن بعض البعثات التنقيبية التي أقامت مراكزها في القدس، ما زالت جاهدة في البحث التنقيبي دون أن تعلن عن يأسها بعد، لقناعتها المطلقة بالتوراة، وإن المصدر التاريخي التوراتي مازال مسلمة لفئة واسعة جداً من توراتيي العالم، الذين ترسخت في أذهانهم الأسطورة على أنها حقيقة، وليس يفرحهم أن تتكشف حقيقة الأسطورة، بقدر ما يهمهم أن تتأكد على أنها هي الحقيقة.

ولكن إذا ما انفصل التوراة عن التاريخ، تصبح الأحداث التوراتية من أمور العقيدة التي لا تدخل في نطاق علم الآثار، أو هكذا يجب أن تكون، لكي ينفرد علم الآثار بالاعتماد على الوثائق المكتوبة المكتشفة للتعرف على تاريخ القدس وثقافتها العربية. والاعتماد على الواقع المعماري الأثري والتاريخي العربي الذي اشترك علماء الآثار في العالم بدراسته وتحديد مراحله عبر خمسة عشر قرناً، كانت القدس التي حملت اسم أورسلام، وإيليا، ودار السلام، ثم بيت المقدس أو القدس التي نحتفل اليوم بوصفها عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩.

٤- التنقيبات الإسرائيلية في القدس

لم يكف النشاط الأثري الصهيوني عن البحث عن تاريخ اليهود في فلسطين، فمنذ عام ١٩٢٥ اهتمت الجامعة العبرية بالتنقيب الأثري. وكان سوكنيك Sukenik أول من نقب عن الآثار، وهو والد الجنرال إيغال يادين، وبعد أن يئس من بحثه التوراتي، اتجه للبحث عن القبور اليهودية في العصر الروماني الميلادي أي في القرن الثاني والثالث. ثم قام يادين نفسه بحفريات في حازور (قرب الحوله) بين عامي ١٩٥٥-١٩٥٨.

وفي دراسة موسعة شاملة أصدرتها دورية فرنسية مشهورة هي (٢٤) (الملفات الأثرية) Les dossiers d,archeolagie, Paris –No-165-166. خصصتها لمدينة القدس تاريخياً وأثرياً. اعتمدت على الأثريين الإسرائيليين أنفسهم، وعلى نتائج تنقيباتهم في مواقع مختلفة، ولقد عرضت المجلة مجموعة هامة من الصور التي تمثل مواقع التنقيب ونتائجها. وليس في هذه الدراسات والصور ما يشير أو يثبت الوجود الإسرائيلي والتاريخ الإسرائيلي في هذه المنطقة. وفيما يلي عرض لأهم ما ورد في هذه المصنفات.

يعترف الأثري الإسرائيلي بروسحي، أن التنقيب الأثري قبل حرب ١٩٦٧، كان مرتبطاً بالسلطة الأردنية وكان الأثريون ينقبون موضوعياً. وبعد ذلك التاريخ يعترف أن السلطة الإسرائيلية وجهت التنقيب الأثري نحو مدينة القدس وحصراً في ما يسمى بمدينة داوود وفي المنطقة التي يعتقدون أن الهيكل أنشئ عليها، مع البحث في الأحياء اليهودية القديمة، ويقدم هذا الأثري ثبتا بالتنقيبات المتعاقبة التي تمت في هذه المناطق مبتدئاً بأعمال ١٩٦٠ التي قامت بها السيدة كينيون في جنوب الحرم في بساتين الأرمن، وقرب بوابة دمشق، وفي منطقة المرستان.

وقام الأثري الإسرائيلي أفيغاد بالتنقيب في الحي اليهودي بالقدس القديمة وفي القلعة. ثم قام بروسحي نفسه بمتابعة التنقيب في بساتين الأرمن وفي سفوح الأسوار الخارجية. وهناك أعمال وحفريات أخرى قام بها أثريون إسرائيليون من أمثال شيلوح وبركاى، اهتمت بالمدافن الأقل قدماً.

ويعترف بروسحي بعدم العثور على آثار محدده، بل حتى على أحجار منحوتة يمكن أن تنسب إلى سور أو هيكل أو قصر، ويعزو ذلك إلى كثافة المباني اللاحقة، وبخاصة تلك التي تعود إلى العهود الإسلامية.

ويقول: (لم يعثر أبداً على أي أثر أو شاهد للهيكل أو القصر، وإنما هي مساكن شعبية).

ويتحدث عن قوس روبنسون الذي ادعاه مازار، فنفى أن يكون هذا القوس قنطرة للعبور فوق الوادي باتجاه الهيكل. ولم يعثر فيما عدا هذا على أي أثر لمنشآت أقيمت في عهد هيرودوس. بل عثر في منطقة المدافن على كتابات آرامية لا تدل أبدا على علاقة بالعبريين، وهي تعود إلى عام ٤٠م (٢٤).



صورة القدس في العام ١٨٧٢ على لوح معدني

٥- هوية اليبوسيين من خلال رسائل تل العمارنة

منذ العام ١٩٧٥أوضحت المكتشفات الأثرية في إيبلا، أن اسم أور سلام قديم يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد (٢٥)، وكان العالم اللغوي



الايطالي فرانزا روللي (٢٦) الذي درس الألواح الطينية المكتشفة في قصر إيبلا، قد صحح قراءة هذه التسمية على أنها أور سلام وليس أور سالم. وهذه التسمية هي الأقدم لمدينة القدس، وهي أقدم المدن التاريخية التي ابتدأت ثقافتها عربية، بمعناها اللغوي. واستمرت صامدة حتى اليوم.

وقد سميت دار السلام (أورسلام) باللغة الكنعانية القديمة، وعثر على هذه التسمية في النصوص الكنعانية التي عثر عليها في مصر، كما عثر عليها في النصوص العمورية في سورية (٢٧).



اكتشاف قصور أموية

تمتعت القدس أو أور سلام على مر التاريخ بقدسية كاملة وكان سكانها الأصليون، وهم اليبوسيون من الكنعانيين منذ الألف الثالث ق.م. الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية (ر:٢). يقول أولبرايت: (لدينا من البراهين والأدلة ما يثبت أن الكنعانيين استقروا في القدس وفلسطين منذ أوائل الألف الثالث قبل الميلاد. ونحن نعرف جيداً من خلال أسمائهم ولغتهم أن اليبوسيين هم من الكنعانيين) (٢٨).



لم يستطع الأثريون، وحتى الأمريكي أولبرايت أن يكتشف شيئاً في مدينة القدس يؤكد هذه المرحلة، على الرغم من عثوره على كثير من الآثار التي تعود فعلاً لعصر الحديد، ولكنها لا ترتبط بأحداث التوراة. في المدن المجاورة لمدينة القدس، مثل أريحا ومجدّو وتليلات الغسول، حيث عثر على آثار أقدم مدينة كنعانية.

واستمر اليبوسيون فيها أكثر من ألفي سنة امتدت حتى عهد النبي موسى وكونوا فيها حضارة تميزت بالعقيدة وبالنمو الزراعي والتجاري والصناعي. وحماية لمدينتهم أقام اليبوسيون سوراً وحصناً وزودوا المدينة

بالمياه. وما زالت آثار السور قائمة على شكل شبه مستطيل يتوسطه الحصن (ويدعى مدينة داود). والبركة حيث تنتهي مياه عين جيحون في بلدة جازر الكنعانية الواقعة على بعد ٣٥ كم من القدس عبر نفق ما زالت آثاره واضحة تحدد تاريخه بالفحم ١٤.

وتذكر وثائق تل العمارنة من ملوك أور سلام الملك عبد هيبا وعلاقته بفرعون مصر أخناتون في العام ١٣٦٢-١٢٧٣ ق.م. وكان قد أعلن ديانة مصرية واحدية شعارها (الكل في واحد والواحد في الكل) أخذها عن الهكسوس، مما شدد أواصر هذه الديانة الواحدية مع ديانة أور سلام.

ويتحدث أيضاً الأثري مازار عن تنقيباته الطويلة الأمد حول الحرم حتى بداية هذا القرن والتي لم تقدم له أي سند توراتي، مما دفعه للعودة إلى الرسائل التي ظهرت في تل العمارنة سنة ١٨٨٧ فيقول: (منذ القرن الخامس عشر ق.م. كانت بلاد كنعان جزءا من الإمبراطورية المصرية. ويثبت ذلك ما تضمنته وثائق قصر اخناتون في تل العمارنة والتي تعود إلى القرن الرابع ق.م وقد أوردت اسم «عبد هيبا» ملكاً على القدس،). (ر:٢٤)

ولكن التوراة ينظر إلى القدس على أنها مدينة أجنبية مسكونة من اليبوسيين حتى عصر داوود.

ولكن رسائل تل العمارنة التي وردت من الشام إلى مصر كانت مكتوبة بالكتابة المسمارية وباللغة الأكادية، مما يؤكد أن السلطة في القدس كانت أكادية يبوسية حسب مازار الذي يتابع قوله: (وكانت حدود سلطان هذا الملك (عبد هيبا) ليس القدس الحالية فقط، بل الجبل حتى حدود رام الله في الشمال، وبيت لحم في الجنوب).

وموضوع رسائل تل العمارنة يتضمن الحرب التي شنها عبد هيبا على الخبيرو، ومساعدة المصريين له بعد أن زار فرعون مصر أخناتون، واستقر حكم هذا الملك بعد قلق وتراجع، ويقول مازار: (على الرغم من وضوح هذه

المصادر، فإن السيدة كينيون في تنقيباتها في الستينات،لم تعثر على ما يطابق رسائل تل العمارنة وكذلك كان نصيب الأثري شيلوح)

استمر سكان مدينة أور الأصليون، على الرغم من استيلاء الآشوريين على القدس على يد شاروكين أولاً، ثم جاء نبوخذ نصر (أولاً في العام ٥٩٥ ثم ٥٨٦ق.م. و جاء بعده الفرس بقيادة قورش في العام ٥٣٩ ق.م، وأعقبهم الأنباط العرب (٣٢٣ق.م-٣٠) ثم جاء الإغريق والسلوقيون في العام ٣٣٢ق.م، بقيادة الاسكندر. ثم الرومان في العام ٦٣ ق م وقد تغلبوا على الأنباط، ثم البيزنطيون في العام ٣٣٩ م.



الفرس

وفي عام ٣٢٦م جاء قسطنطين وأمه هيلينا وقد اعتنقت المسيحية لزيارة القدس، وفيها أنشأت الكنائس الأولى (كنيسة القيامة) وأصبحت القدس منذ ذلك الوقت مركز النشاط المسيحي مع بيت لحم مهد المسيح، ولكن العاصمة كانت قيسارية، ولم تكن القدس أكثر من مدينة مقدسة تعرضت لاجتياح الفرس وتهجير أهلها، ثم تراجعت مكانتها، إلى أن جاء العرب في العام ٦٣٨م بقيادة خالد بن الوليد في معركة اليرموك. ودخلها عمر بن الخطاب، حيث ابتدأت تستعيد هويتها العربية القديمة التي كانت عليها أيام اليبوسيين، وتابعت ازدهارها معماريا.(ر: ٢+٥)

الفصل الرابع

مرجعية العلم و الوثائق

١- العلم يناهض التاريخ التوراتي

لم تكن عقيدة شعب الله المختار وحقه بقيام دولة تكون منطلقاً لقيادة العالم مقبولة من المفكرين والمؤرخين الأثريين، وقد تبين أن التاريخ التوراتي لم يكن واقعياً ولم يتحقق أثرياً.

وكان من أوائل الفلاسفة الذين ناهضوا الحق الأسطوري المزعوم الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧). فقد ورد في كتبه «أن اليهودية ليست وطناً ولا قومية، ولا جنساً ولكنها عقيدة وشريعة يمكن ممارستها في أي مكان مع بقاء اليهودي مواطناً مخلصاً لوطنه ومسقط رأسه.. ثم يقول: إن الرب لم يشترط لصحة الصلاة أن يسمعها من اليهود في أورشليم، وأن المعبد اليهودي في أمستردام بالنسبة له معادل تماماً عند الرب لهيكل سليمان في فلسطين».

وكان الرد اضطهاد هذا الفيلسوف وهجرته من أمستردام ليعيش في قرية صغيرة تسهل على تلاميذه حراسته من المتعصبين السفاحين. وهناك استمر في نشر مذهبه، يعيش بممارسة صناعة العدسات البلورية.

يؤكد علماء الآثار وعلى رأسهم بوتشللاتي أن التاريخ التوراتي لم يعد قادراً على التعامل مع علم الآثار الذي لم يستطيع أن يؤكد أي حدث من أحداث التاريخ التي وردت في العهد القديم (٣٠).



ويجمع علماء الآثار على ما أورده العالم تومسون «لا يقتصر الأمر على أن علم الآثار لم يبرهن تاريخياً ولا على أي حدث واحد من أحداث القصص المتعلق بالأجداد الأوائل (أي آل إبراهيم)، بل لم يبين أن أي من تلك القصص محتملة».

ولقد أكدت اكتشافات إيبلا منذ عام ١٩٧٥ على عدم تطابق التاريخ التوراتي مع هذه المكتشفات وبخاصة بعد قراءة الألواح الطينية التي عثر عليها في المكتبة الملكية.

ما زالت أعمال التنقيب التي يجريها علماء الآثار الإسرائيليون أنفسهم في القدس المحتلة، لا تؤكد أبداً أي حدث توراتي ولم تكشف عن أي أثر للهيكل المزعوم.

إن جميع المحاولات الاستكشافية في القدس لم تقدم أي دليل قاطع على أن ما ورد في التوراة كان حادثاً تاريخياً، ولم تؤكد أن المواقع التي وردت فيها تتطابق في وضعها وعلاقتها ببعضها مع ما هو قائم في القدس (ر:٢٤).

إن عدم تطابق الأحداث التوراتية مع المكتشفات الأثرية كان موضع خيبة أمل كبيرة للعلماء الذين ابتدأوا ينفصلون عن الحدث التوراتي لمصلحة الحدث المكتشف، وقد أعلن ذلك صراحة عدد كبير من العلماء من أمثال لاب وديفر وفرانكن وماتييه، بل أصبح الاعتماد على التاريخ التوراتي عبثاً يتحاشى العالم الموضوعي التنويه به. ولعل اكتشاف آثار إيبلا في تل مرديخ (سورية) كان فاصلاً في تحويل علماء الآثار نحو الموضوعية العلمية وتجاهل الهدف التقليدي السابق، وهو تأكيد الأحداث التوراتية، وإثبات حضارة المنطقة فبل عصر الحديد، مما ينفي جميع الروايات التوراتية الافتراضية الأسطورية.

وخلال الحفريات الأثرية المكثفة في فلسطين والأردن وسورية، بحثا عن شواهد تؤكد ما ورد في التوراة، تبيّن للعلماء أن التوراة تاريخ ديني، وأن علم الآثار تاريخ موضوعي، وليس من علاقة بين أحداث التوراة الدينية وأحداث التاريخ الحقيقية التي تؤكدها وتكشف عنها حتى اليوم الحفريات الأثرية، تمّ ذلك بجهود علماء الآثار العالميين، ولم يستطع علماء الآثار الإسرائيليون ومنهم سياسيون، تقديم أي دليل يؤكد التاريخ التوراتي (ر:٢٤).

وأعقب هذا الانتصار الأثري التاريخي، ظهور دراسات تبيّن أن تاريخ التوراة حدث خارج إسرائيل، وحجة هذا الرأي أن حركة التاريخ التوارتي لا تنسجم مع جغرافية المنطقة من العراق إلى الشام وحتى مصر (ر:٦).

٢- الفصل بين العقيدة وعلم الآثار

يعترف العالم دوفو de veux بجلاء إن حقيقة الكتاب المقدس أمر ديني من حيث الأساس، ولا يستطيع علم الآثار البرهنة على تلك الحقيقة أو نفيها، ذلك أن نصوص الكتاب المقدس تتضمن تأويلاً دينياً للتاريخ.

لقد قدمت وثائق ايبلا المكتشفة في العام ١٩٧٥، إثباتاً بالثقافة الأصيلة لمدينة القدس، وأن الآداب التي زعم أنها يهودية، تعود في ايبلا إلى ما قبل عصر داود بأربعة عشر قرناً. يبدو ذلك واضحاً من الأسماء الواردة في الوثائق المكتوبة على الرقم الطينية والتي يزيد عددها عن خمسة عشر ألف رقيم. ومن هذه الأسماء : أور سلام وإسماعيل وإسرائيل وغيرها (٣١).

ونحن نعرف جيداً من خلال أسمائهم ولغتهم أن اليبوسيين هم من الكنعانيين العرب، ولم يستطع الأثريون، وحتى الأمريكي المشهور أولبرايت أن يكتشف شيئاً يؤكد عكس هذه الحقيقة، على الرغم من عثوره على كثير من الآثار التي تعود فعلاً لعصر الحديد، ولكنها لا ترتبط بأحداث التوراة.

تتأكد هذه الحقيقة العلمية بقوة، نتيجة الأبحاث التاريخية والتنقيبات الأثرية التي تقام في القدس المحتلة بقيادة علماء من العالم ومن إسرائيل ذاتها، والتي تؤكد نفي التاريخ اليهودي في القدس، و كان دافع الإسرائيليين في التنقيب الأثري هو تأكيد وجودهم على الأرض

المحتلة. ولكن الثورة التي أعلنتها السيدة كينيون على نتائج افتراضية قام بها الأثريون التوراتيون، دفعت إسرائيل، لى طرد العلماء العالميين، والاعتماد على الأثريين الإسرائيليين وحدهم بدعم من الجيش ووزارة الأديان، لإنقاذ عقيدتهم التاريخية.

إن إعادة كتابة تاريخ فلسطين على أساس المكتشفات الأثرية التي قام بها العلماء من إسرائيل ومن أنحاء العالم، يجعل هذا التاريخ مغايراً تماماً لما ورد في التوراة. وجميع الاكتشافات التي تمت في فلسطين على هدى علم الآثار، أبانت أنها تتعارض مع الأحداث التوراتية، ولهذا اتجه أكثر الأثريين إلى الفصل بين التوراة والتاريخ، ومن أبرز هؤلاء، فرانكن ولاب ودوفو وديفر وماتيه.

ويبدأ هذا الاتجاه عند ديفر Dever تحت غطاء الحرص على أزلية التوراة، فجوهر التوراة، كما يقول أزلي مرتبط بالإيمان، أما علم الآثار فهو علمي يتبع مناهج البحث النسبية، وإثبات حقائق الإيمان بمعارف زمنية يسيء إلى التوراة إذ يرفع مستوى النشاط الأثري إلى مستوى القدسية.

ويلح العلامة اللغوي فنكلشتاين Finkelstien على ضرورة فصل علم الآثار عن الدراسات التوراتية، على أساس أن التناقض يكمن في اختلاف الطريقة.

ويطالب العالم نوت Noth ومدرسته الأوربية بإلحاح، بفصل مماثل وبضرورة فصل الآثار السورية الفلسطينية عن التاريخ التوراتي.

أما العالم دوفو de veux فيقول بجلاء إن حقيقة الكتاب المقدس أمر ديني من حيث الأساس، ولا يستطيع علم الآثار البرهنة على تلك الحقيقة أو نفيها، ذلك أن نصوص الكتاب المقدس تتضمن تأويلا دينيا للتاريخ.



لقد بدا ماتيه Mathiae مؤخراً أكثر وضوحاً في الدعوة إلى الفصل بين العلم الأثري وبين العقيدة الدينية المسيسة، بعد أن تعرضت مكتشفاته في ايبلا إلى التأويل والابتزاز التوراتي والصهيوني، فهو يقول: (تفترض

الأحداث التوراتية من حيث الأساس أنها تعاقب زمني طويل تتخلله أحداث أسطورية مهدت السبيل إلى ظهور الوحي الإلهي، أي أن شعوب هذه الأزمنة التوراتية وحضارتها لم يكن لها بعد تاريخي بل هي مجرد خلفية للأحداث التوراتية المقدسة. ولا يستطيع علم الآثار أن يؤكد أو يثبت صحة ما جاءت به التوراة من أحداث ومواقع. إن مهمة علم الآثار أن يحقق موضوعياً دراسة ميدانية لوثائق تاريخية تكشف عن حضارة ما بخصائصها البنيوية وبتأثيراتها المتبادلة خلال الفترة الزمنية التي عاشتها تلك الحضارة) (ر:١٦).

٣- علم الآثار كمصدر موثق للتاريخ

كان عالم الآثار أحدَ رجلين، إما عالم يبحث عن الحقيقة التاريخية من خلال البحث والكشف، أو إرسالي يحاول تأويل المكتشفات لمطابقتها مع التوراة. ولابد من القول، إن عدداً من الارساليين مازال يتابع مهماته ضمن نطاق المعاهد والبعثات التوراتية المعروفة لدينا، ومازالت أبحاثهم التي تنشر في مجلات توراتية خاصة صريحة في أهدافها الإرسالية التي كثيرا ما تتعارض مع الواقع التاريخي المكتشف، ورغم هذا فإن حجم المعرفة التوراتية لم يصل بعد إلى أوليات المعرفة التاريخية العلمية الراهنة.

لقد كان التوراة مصدراً تاريخياً وحيداً عن العهد القديم عندما كانت المكتشفات الأثرية معدومة. وكان الاعتقاد أن ما ورد في التوراة من أزمنة وأمكنة إنما يعود إلى فجر التاريخ الذي كان محصورا في هذه المنطقة من الرافدين إلى النيل، المنطقة التي كانت تشكل رقعة العهد القديم. ومع ان هذه الرقعة اشتملت على أقدم الحضارات وكانت مسرحاً لأحداث تاريخية لا حصر له (ر:٢٣). فإن التوراة لم يتناول هذه الحضارات وهذه الأحداث بل ركز على أحداث شخصية ضيقة أو عارضة لا قيمة تاريخية لها.

وبالمقابل قدمت المكتشفات الأثرية أعداداً ضخمة من الرقم المسمارية والأختام والشواهد التي عرفتنا بتاريخ طويل وحضارات متعددة ظهرت في بلاد الرافدين ومصر وسورية. ولأن معرفتنا هذه ترتكز على شواهد ووثائق أصلية، فإنها معرفة علمية لا مجال للطعن بها، على عكس أخبار التوراة فهي سردية متأخرة عن تاريخها اختلط فيها الوهم والغرض، فلم يعد بالإمكان اعتبارها علمية موثقة. وهكذا أصبحت إسرائيل خارج التاريخ

والجغرافيا، نتيجة البحث والتنقيب الأثري الذي تقوم به مجموعة من العلماء الإسرائيليين مما يؤدي إلى فشل المحاولات السياسية لدعم وجود إسرائيل بالوعد الديني والحق المزعوم.

يقول العالم والمؤرخ ويلز Wells (لا أحد يؤكد أن أرض الميعاد وقعت يوماً بيد العبرانيين اليهود. لا قبل النفي ولا بعده، وفي عهد الملوك فإن الملك سليمان لم يكن أكثر من حاكم صغير يحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته هشة انهارت بعد موته. ولم يكن سليمان يهودياً ولا عبرياً، بل كان كنعانياً بلغته وعقيدته. ولم يترك منشآت وحضارة، وليست المبالغة التوارتية عن عهده إلا وهماً وكبرياء. لقد كان سليمان ضعيفاً أمام غيره، فكان مجرد مساعد للملك الفينيقي أحيرام الصورى الذي بنى له (الهيكال). وكان على ما يبدو بناء بسيطا لم يبق له أثر، كما أن عهد الملوك لم يتأكد أثريا).

ويقول العالم مند نهول: (إن عهد الملوك كان كنعانياً وثنياً وانهارت دولته بسرعة. ويعزو التوراة هذا الانهيار لغضب يهوه على سليمان «لأنك لم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها» (ل ١-١٣) وحتى قبيل النفي لم تكن العقيدة اليهودية واضحة ولم يكن التوراة قد كتب بعد) (ر:٣١).

إن هذه الحقيقة العلمية تتأكد بقوة، نتيجة الأبحاث التاريخية والتنقيبات الأثرية التي تقام في فلسطين المحتلة بقيادة علماء من العالم ومن إسرائيل ذاتها، ولقد كان دافع الإسرائيليين في التنقيب الأثري هو تأكيد وجودهم على الأرض المحتلة، وتثبيت ما ورد في سفر الرؤيا من نبؤة بظهور المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة الرب في الأرض ورد من تاريخ إسرائيل ومن أساطير ومطامع تتركز في ما أورده كتاب التوراة عن قيام دولتهم والتي ستدوم ألف عام، وعن الوعد الذي قطعه الرب يهوه لإبراهيم بمنحه الأرض من النيل إلى الفرات، وذلك لتبرير قيامهم دولة إسرائيل لتدوم ألف عام على أرض تقع بين النيل والفرات.

وسنرى أن جميع الحفريات الأثرية، لم تقدم أي دليل على الوجود الإسرائيلي تاريخيا، أو على اعتبار هذه المنطقة الجغرافية هي أرض إسرائيل.

٤- وثائق إيبلا والعهد القديم

يعد اكتشاف إيبلا الذي تم في الآونة الأخيرة مع آلاف اللوحات الكائنة في أرشيف قصرها بأنه من أعظم الاكتشافات الأثرية في هذا العصر. وتلقي الأبحاث الدائرة هناك ضوءاً على الصفة الإنسانية لأقدم المدن الكبيرة التي عرفتها البشرية، على أن الجدل الحالي لا ينبثق من تلك المسائل العلمانية بل من الصلات الدينية والعرقية التي قامت بين شعوب إيبلا وفلسطين. وتوحي التقارير الأولية بأن اللوحات تشتمل على إشارات عديدة تربط إيبلا بعالم التوراة (ر:٣١).



رقيم حديث مثبت عليه خارطة سورية القديمة وعليها موقع إيبلا.

في عدد /٢٢/ تشرين الثاني ١٩٧٦ أوردت مجلة نيوزويك تحت عنوان (المملكة الضائعة)، الموضوع التالي: وفيه إلحاح على علاقة إيبلا بالتوراة.

يقع هذا القفر على مسافة ثلاثين ميلاً جنوبي حلب الجديدة، هناك بدأ ماتييه بشق هضبة عالية منتشرة على مسافة مئة وأربعين آرك، انتهت الأخيرة من أعمال ماتييه باكتشاف خمسة عشر ألف (رقيم) لوحة مسمارية وتنبي هذه اللوحات عن تاريخ نهضة وسقوط إيبلا، ويعتقد أن المملكة القوية التي ازدهرت ما بين الفترتين (٢٤٠٠-٢٢٥٠) قبل الميلاد ليست مجرد براري كانت تقطن فيها قبائل البدو الرحل.



رقيم من إيبلا

إن اللوحات تحتوي على شواهد مذهلة تشير إلى أن بعض الأشخاص والأمكنة مذكورة في العهد القديم والذي أسس على حقائق تاريخية.

إن هذه اللوحات النادرة والفريدة قدمت لنا أقدم لغة عربية سامية في أول قائمة للمفردات والمرادفات عرضها الإنسان، وقد قام الكتاب والمؤلفون في إيبلا بفهم اللغة السومرية بالإضافة إلى لغتهم السامية، لذلك قاموا باستعارة

الكتابة المسمارية لكي يدونوا لغتهم الأصلية. والتي يعتقد جيوفاني بيتيناتو العالم بفقه اللغة من جامعة روما أن هذه اللغة تتحدر من اللغة التي ينطق بها التوراتي، على الرغم من أن خمساً وتسعين بالمئة من اللوحات لم تعد بعد للترجمة، فقد اكتشف الدكتور بيتيناتو مؤخراً بعض المداخلات المتساوية بين حضارة إيبلا وحضارة القدماء الذين قادهم إبراهيم إلى كنعان في حوالي ثلاثمائة سنة بعد سقوط إيبلا، وقد ذكروا أيضاً أن ملوك إيبلا كانوا يدهنون بالزيت تماماً كما كان يفعل الملك داوود وسليمان، كما ذكر أيضاً أن مجمع الأرباب كان يضم (دجن) نفس الإله الوثني الذي هدم معبده شمشون نسبة إلى سفر التكوين، لقد كان لإيبلا طبقة خاصة من الأنبياء وقد ترجمت عدة أسماء لمواطنين من إيبلا إلى إبراهيم، وداود وايساو وأيضاً شاؤول، وقد ذكرت اللوحات مكاناً يدعى أورشليما قد يكون هذا اسم إيبلا (القدس).

يقول فريدمان «إن ظهور أسماء مثل إبرام وأدامو واشمع ايل ومي كايل، يوفر لنا الدليل على تحديد تاريخ إبراهيم الخليل في الألف الثالث قبل الميلاد». بل ذهب بعض الصحفيين الصهاينة إلى القول «إنه من المحتمل أن تكون القدس هي إيبلا ذاتها» كما ذكرنا في مقال نيوزويك.

وفي مقال نشرته جريدة التايمز بتاريخ ١٨/١٠/١٩٧٦ تحت عنون «عالم ثالث جديد» يذكر الكاتب في نهاية موضوعه الطويل، أن إيبلا أعطت صورة واضحة لحضارة سامية قوية امتدت من البحر الأحمر إلى تركيا شمالاً وإلى بلاد الرافدين شرقاً. وننقل عن فريدمان الذي عمل مع الإيطاليين (كذا) قوله: يظهر أن المعلومات المشتركة مع التوراة متعددة، ففي الرقم قصص عن الخلق والطوفان تشبه إلى حد بعيد تلك التي وجدت في التوراة والأدب البابلي، فقد وجدت إشارة إلى مدينة «أورشليما» التي قال العلماء أنها اسم القدس عند الابلاويين، فإذا صح هذا فإنه لا جدال أقدم إشارة معروفة إلى المدينة المقدسة تسبق تاريخياً الإشارات الأخرى بمئات السنين، كذلك تكرر

ذكر ابروم أو ايبر الذي يشير كتاب التكوين أنه الجد الخامس لأبينا إبراهيم، نحن نفكر دائماً في أسلاف رمزيين أمثال ايبر أو عابر. ويضيف فريدمان: ولا أحد حتى الآن اعتبرهم تاريخيين، على الأقل حتى اكتشاف هذه الرقم.

ولقد أرسل الأستاذ اليهودي هارفي وايس Harvey Weiss إلى محرر جريدة نيويورك تايمز رسالة مؤرخة في ١٨/٤/١٩٧٩ فيما يلي نصها،وقد نشرت في مجلة الأثري التوراتي ورفضت جريدة نيويورك تايمز نشرها.

(إن إيبلا تعني لنا نحن الاختصاصيين ثورة في الكشف الأثري تجعل هذه المدينة مركزاً لسلطة سياسية وثقافية هامة في الألف الثالث قبل الميلاد، وقبل هذا الكشف كانت سومر وأكاد تحتل المركز الأقوى. ومن المؤسف أن تُهمل أهمية هذا الاكتشاف وأن يركز على ما يلاءم معتقدات الأثريين التوراتيين، ولقد بلغ الأمر أن إيبلا أصبحت عندهم «وطن» العبرانيين. ولقد وصلوا إلى إساءة استعمال النصوص المكتشفة بتأثير السياسيين الإسرائيليين لكي يبرروا احتلالهم للأراضي في فلسطين وسورية).

أمام ذلك الخبط في تأويل وثائق إيبلا، أعلنا (بوصفي المسؤول عن أعمال التنقيب في سوريا) البيان التالي:

(أما أن تكون ألواح إيبلا قد كشفت عن أسماء الآباء الإسرائيليين الأوائل إبراهيم وإسحق ويعقوب (إسرائيل)، فهذا أمر نعتبره في غاية الأهمية وما زلنا نحلم أن تظهر المكتشفات الأثرية ما يؤيد علمياً وتاريخياً آل إبراهيم وإسماعيل أبي العرب، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فإن المكتشفات في رأس الشمرة وفي ماري ثم في إيبلا تبين لنا يوماً بعد يوم، أن أحداث التوراة تمت متأخرة جداً عن الأحداث التي جرت في بلاد أكاد وماري وإيبلا وكنعان، ولقد جاءت مختلطة غامضة متناقضة، ويكفي أن نقول بأن الكنعانيين اعتبروا في التوراة لأسباب سياسية من الحاميين وليسوا من الساميين، وفي ذلك نقض لكثير من المفاهيم التاريخية الأساسية.

أما عن ورود اسم اورشاليما، وتعني مدينة السلام. فإن هذا على افتراض تأكيده يعني:

١- إن القدس (أور سلام) كانت معروفة منذ عام ٢٤٠٠ ق.م كغيرها من المدن التي ذكرت ومازالت موجودة مثل دمشق- حماه- حمص- حلب- بيروت.

٢- إن تسميتها بأورسلام قديم جداً خلافاً للادعاء من أن داود هو أول من أطلق عليها هذا الاسم.

٣- إنه ليس لهذه المدينة علاقة في منشئها باليهود. بل هي وقبل أكثر من ألف عام من ظهور موسى مدينة كنعانية. نعرف الآن حسب وثائق إيبلا أنها كانت موجودة وزاهرة تتعامل مع إيبلا وغيرها (٣١). ولقد عرضنا محاولات الجمعية الإرهابية الصهيونية (بناي بريث) في تحريف المعلومات التي وردت في وثائق إيبلا، وفي الإعداد للسطو على وثائق إيبلا. (٣٢)

وفي تصريح منشور نفى بتيناتو التأويلات المغرضة لما ورد في وثائق إيبلا (ر:٢٥):

(أنا الموقع أدناه ذيلا الأستاذ جيوفاني بتيناتو المختص باللغات في البعثة الأثرية الإيطالية من جامعة روما في سورية يصرح رسمياً بما يلي:

إن الوثائق التي أظهرت إلى الوجود في تل مرديخ / إيبلا خلال حملات التنقيب من عام ١٩٧٤ حتى ١٩٧٦، والتي كان لي شرف فك رموزها ودراستها، تشهد أكثر فأكثر بالدور المركزي الذي كان لسورية في الألف الثالث (ق.م) في آن واحد، من حيث ما تمليه هذه الوثائق من مضامين تاريخية كاملة الأصالة والتمايز، ومن حيث وجود لغة سامية جديدة، هي الأقدم بين اللغات التي وصل إلينا منها شاهد حتى الآن.



أما عن الصلات المزعومة مع النص التوراتي فإني أشعر أنه من واجبي أن أوضح، بصورة نهائية، أن أنباء تناقلتها الصحافة، وأيضاً مداخلات من جانب زملائنا في ما وراء الأوقيانوس قد تمادت في الأمر حتى بلغ حد التحيز والمخاطرة وأنني أود ليس فقط أن أبتعد عن أدنى مسؤولية فيهما، بل وأيضاً أن أحذر منهما الاختصاصيين.

حتى لو كان صحيحاً أن «إعلاميات» (دراسة أسماء الأعلام) إيبلا قد تفسح المجال لمقارنات ممكنة مع (الإعلاميات) التوراتية في المراحل اللاحقة للواقع التاريخي لإيبلا، فإنه ليس ثمة ما يبرر أن نجعل من الإيبلائيين أسلافاً لإسرائيل، إن كون (الإعلامية السامية الشمال- غربية لإيبلا) تحمل سمات من طبيعتها أن تجعل أسماء أعلامها قابلة للمقارنة مع أسماء أعلام جميع الحضارات السامية الشمال غربية، وهذا يبلغ من البداهة حداً لا يترك مجالاً للاستغراب أو التعجب، وأنه ليكون خطأ منهجياً، أن نكرر التأويلات التحريضية التي ارتكبت سابقاً، وأن نحاول بشكل خاص إعادة دراسة العهد القديم على ضوء إيبلا.)

٥- لفائف قمران تربك التاريخ التوراتي

لعل اكتشاف لفائف قمران من أهم المراجع التي تساعدنا على فهم مرحلة من مراحل تاريخ فلسطين القديم، ففي العام١٩٤٧عثر عرب التعامرة على لفائف من الرق و أوراق البردي في مناطق حول البحر الميت أهمها في منطقة قمران.

ثم قامت دائرة الآثار الأردنية بالتنقيب في مساحة واسعة لمتابعة الكشف عن لفائف أخرى محتملة. ولا نريد هنا التحدث عن اللفائف النحاسية التي تضمنت معلومات عن كنوز معدنية غنية سعت إسرائيل فيما بعد للحصول عليها. ونكتفي هنا ببيان علاقة اللفائف المكتوبة بالعهد القديم و بعصر المسيح. ولقد تبين للعلماء أن هذه الوثائق تعود إلى الأسينيين المتقشفين.

لقد تم الاستيلاء على هذه اللفائف من إسرائيل بعد نكسة العام ١٩٦٧ و استقرت في متحف (بيت الكتاب) في القدس، ومنعت الاطلاع عليها. ولكن بعض العلماء استطاعوا قراءة بعض هذه اللفائف قبل دخولها إلى إسرائيل، و منهم العالم الفرنسي (دوبون سومير) فيما نشره في جريدة (الفيغارو الأوروبية) سنة ١٩٥٠. وتابع دراسة هذه اللفائف العالم الفرنسي (اللغرو) الذي ساهم في فك رموز اللفائف وقراءتها، وتحدثوا عن أسفار أشعيا وعن حقبة هي الأكثر وضوحا في بداية تاريخ المسيحية.

و تمانع السلطة الإسرائيلية التوسع في قراءة مضمون هذه اللفائف، بعد أن أدركت خطورتها على تاريخهم المزعوم، كما يتحفظ الفاتيكان بنشر هذه اللفائف كما أكدت مجلة:

Les Dossiers d،Archiologie - Paris-33-1998

الفصل الخامس

هوية فلسطين الثقافية

١- فلسطين لم تكن موطناً للإسرائيليين

٢- النفي لإثبات الهوية الأصيلة

٣- الهوية الثقافية الأصيلة

٤- الختام - محاكمة أثرية تاريخية في مؤتمر السلام

١- فلسطين لم تكن موطناً للإسرائيليين

تبدأ قصة بني إسرائيل بظهور إبراهيم عليه السلام الذي ولد في أور في أرض شنعار ولم تكن أور كلدانية كما ذكر التوراة لأن الكلدان ظهروا بعد ألف عام من ظهور إبراهيم، يقول التوراة: ((خرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران واجتاز إبرام إلى مكان شكيم (نابلس) وظهر الرب وقال لإبرام لنسلك أعطي هذه الأرض)) تك ح ١٢.

ويعني هذا القول أن إبراهيم الخليل عاش شبابه في حران (منطقة فدان آرام) وكان آرامي النشأة واللسان ثم جاء إلى نابلس وهناك وعده الرب بهذه الأرض؟!.



ويتابع التوراة الحديث عن قصة إبراهيم فيعرض قصة هذه الأسرة من خلال أخطاء ارتكبوها، وهي أخطاء جسيمة لأنها تمس الكرامة والشرف، وكثيرا ما حاسب العرف اليهودي بقسوة على مرتكبيها، ومع ذلك فإنها تعرض هنا وكأنها كرامات وأفعال خارقة ميزت أصحابها عن غيرهم من الناس العاديين.

يقول التوراة: ((وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها)).

((وانتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور. وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي فأرسل أبيمالك ملك جرار مَنْ أخذ سارة... وفي الغد قال أبيمالك لإبراهيم: (ماذا فعلت بنا؟ وبماذا أخطأت إليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطية عظيمة)؟)).

((وافتقد الرب سارة وفعل الرب لسارة كما تكلم، فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابنا في شيخوخته، ودعا إبراهيم ابنه المولود له الذي ولدته سارة اسحق. وكان إبراهيم ابن مئة سنة)).

((وشاخ إبراهيم وبارك الرب إبراهيم في كل شيء)) ((وقال إبراهيم لعبده استحلفك بالرب اله السماء واله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم، بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني اسحق)).

ومضى العبد إلى آرام النهرين إلى مدينة ناحور. وهناك خطب رفقة الأرامية بنت بتوئيل وجاء بها إلى اسحق فتزوجها وانجبت له عيسو ويعقوب وكانت أمهما تفضل يعقوب على عكس والدهما الذي كان يفضل عيسو.

ولما شاخ اسحق وكلّ بصره قال لعيسو، ((إذهب إلى الصيد واصنع لي أطعمة حتى تباركك نفسي قبل أن أموت)).

فسمعت رفقة ما قاله زوجها فهرعت إلى ولدها المفضل يعقوب ودفعته أن يسبق أخاه إلى البركة، فدخل إلى أبيه مع صيده وطعامه وادعى أنه عيسو، قبّله الأب وباركه وقال ((فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم

الأرض وكثرة حنطة وخمرة. ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل. لتكن سيدا لاخوتك)). وعندما عاد عيسو اكتشف الخديعة ولكنه لم يستطع أن يصلح الأمر، فحقد على أخيه وقرر قتله، فدفعته أمه أن يمضي موقتا إلى حران حيث يقيم أخوها لابان وأمره والده أن يتزوج من ابنة لابان. فتزوج يعقوب راحيل ابنة لابان الأرامي الصغرى.

أما راحيل فقد ولدت متأخرة يوسف الذي جابه أخوةً كثيرين يكنون له العداء ورموا به في الجب وادعوا أن ذئبا أكله، ثم جاء قوم من مِدّيَنٌ فأنقذوه وأخذوه إلى مصر فباعوه إلى رئيس شرطة فرعون. ورحل يعقوب وأولاده الإثنى عشر إلى حران، بأمر من الرب (إل) جاءه في أرض كنعان، وفي مكان سمي بيت إل، وظهر الله ليعقوب في بيت أيل وقال له: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل (أي عبد الإله)

وذهب يعقوب وأولاده ونساؤهم إلى مصر. ويتحدث التوراة عن عدد هؤلاء وعن حرارة اللقاء مع يوسف الذي استقبلهم وأعطاهم ملكا في مصر أرض رعمسيس كما أمر فرعون. وهنا يتضح أن أرض بني إسرائيل ليست هي بلاد كنعان، بل إنهم استمروا غرباء، فهي أرض غريبة أما أرضهم الأصلية فهي فدان آرام-حران ومنها اختاروا زوجات لهم.

بل إن أبناء إسرائيل أو (يعقوب) الإثنى عشر إنما ولدوا خارج الأرض المقدسة فلسطين، وهم بنو إسرائيل المعنيين في التوراة، فلقد عاش يعقوب في حران عشرين عاما وفيها ولدت ذريته، كما أن ولدي يوسف إنما ولدا في مصر من أم مصرية.

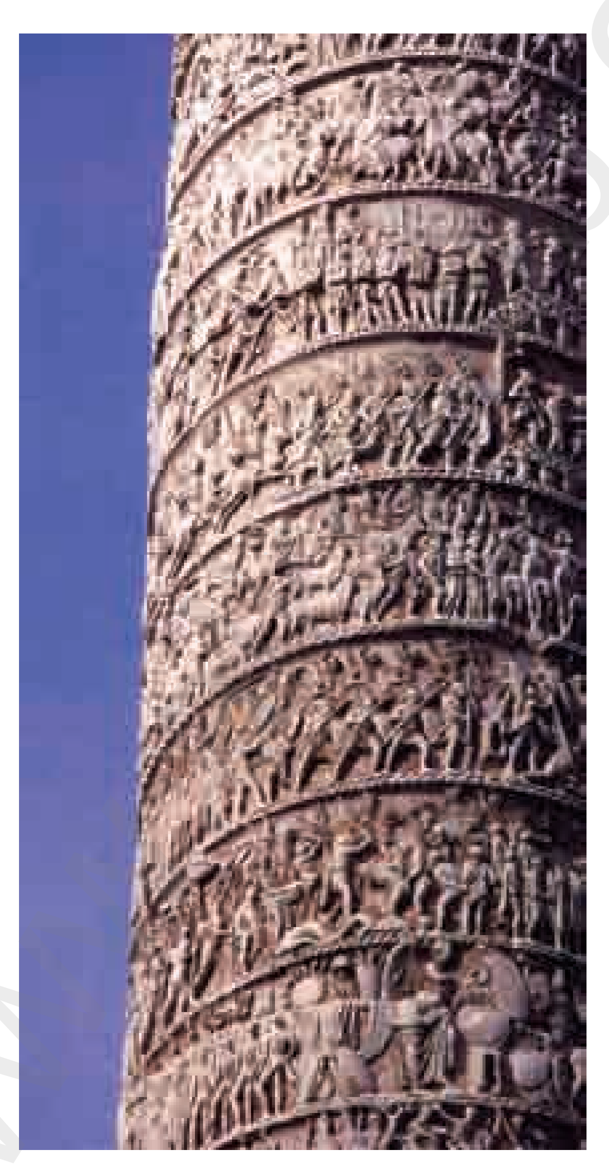
فهل تعد أرض كنعان أرض بني إسرائيل من نسل إبراهيم ؟ وكيف أصبحت أرضاً لقوم موسى؟ يحاول مدونو التوراة ربط قوم موسى ببني إسرائيل لتحقيق الوعد الإلهي بملكية الأرض. على الرغم من المفارقات التالية:

- إن رحيل موسى وقومه إلى بلاد كنعان كان خروجا ولم يكن عودة ثم أصبح غزوة مصرية كباقي الغزوات.

- إن يوسف اقتطع لأهله أرض رعمسيس علما أن الرمامسة ظهروا بعد خمسة قرون من تاريخ يوسف.

- إن قوم موسى كانوا أعداء الساميين الأصليين وهم الكنعانيون.

ولقد ردد التوراة أكثر من مرة خروج الكنعانيين عن الساميين والحقهم بالحاميين بينما ألحق بالساميين قوماً غرباء كانوا حلفاء قوم موسى فيما بعد.



ومن هنا يتضح أن قوم موسى لم يكونوا من بني إسرائيل. وإن قصة بني إسرائيل أي آل إبراهيم كما وردت في التوراة لا تكرم أصحابها.

وإذا أخذنا التوراة مصدرا أساسياً لتاريخ إبراهيم الخليل، فإننا نراه يقول (تك ١٤) ((فقال لأبرام إعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم، فيذلوّنهم أربعمئة سنة، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جذيلة. وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام، وتدفن بشيبة صالحة)).

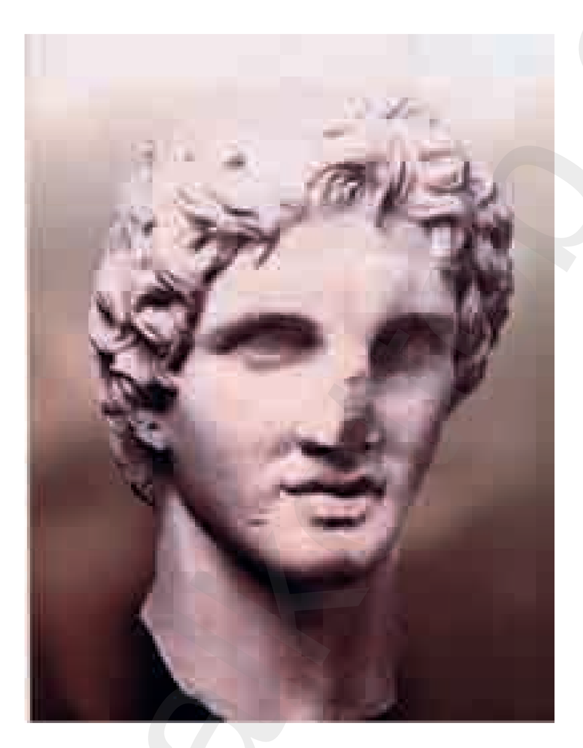
إن اعتبار التوراة النبي إبراهيم ونسله غرباء عن فلسطين، ثم إن فشل تأكيد التاريخ التوارتي في فلسطين ذاتها، دفع إلى التساؤل عن أرض التوارة،.

يعتمد علم الآثار في تقسيماته الشائع على ما يثبت من اكتشافات حضارية. وجميع المكتشفات التي تمت في فلسطين والأردن لم تقدم لنا أي إثبات على حضارة عبرانية، بل هي الحضارة الكنعانية التي كانت سائدة وزاهرة، وان العبرانيين الذين سكنوا فلسطين كانوا أقلية عاشوا في بيوت بدائية واستعملوا الأساليب التي تعود إلى العصر البرونزي الحديث (ر:٥).

ويتحدث التوراة عن عودة اليهود من المنفى في بابل، بمساعدة قورش ملك الفرس بعد نصف قرن من السبي الأول، وعن عددهم. و نكرر هنا اعتراف رولي خاريش قائلاً: (إن الحفر الأثري في القدس، أبان أن عدد السكان خلال فترة النفي لم يتناقص، فهل هذا يعني أن النفي لم يكن صحيحاً، أم أن المنفيين كانوا قلة وليس كما ورد في التوراة)؟!. (ر: ٢٤)

ويتابع قوله: (إننا لم نعثر على أثر لإسكان جديد خلال عصر الحديد وفي فترة ما يسمى بالعودة، وبقيت المنطقة المسماة مدينة داوود وحدها المسكونة على صغر مساحتها). مما يخالف نظرية كمال صليبي (ر:٦).

وجميع الحفريات التي تهدف الكشف عن عصر الاحتلال الفارسي والحكم الهلنستي، لم تكشف عن آثار هامة، بل نراها من خلال جرار عليها كتابات روديسيّة وأختام باللغة الآرامية، وهي أقدم أختام رسمية وجدت في القدس. أما المباني الرومانية فهي أكثر وضوحاً، ولقد أطلق عليها العامة أسماء توراتية خطأً.



الأسكندر

ويقول أفيغاد الإسرائيلي (إن الحفريات الراهنة في الحي اليهودي في القدس، أغنت معرفتنا عن حضارة المدينة خلال عهد أسرة هيرودوس من ٨٧ ق.م-٧٠م أي خلال مئة وخمسين عاما كانت فيها القدس زاهرة العمران واكتشفت بعض الدور المزخرفة بالفسيفساء والفريسك وهي رومانية الطابع.) ولم يكتشف أي أثر للهيكل أو لوجود يهودي.(ر:٢٤)

ويقول الأثري زافرير: (إن القدس في عام ٧٠م، أصبحت تحت حكم تيتوس الروماني الذي أحرق المعبد وهدم المدينة، ولم يبق منها إلا بعض الأسوار في منطقة الجنوب حيث استفيد منها لحماية جنوده)..

وفي عام ٣٢٦م جاء قسطنطين مع أمه هيلينا لزيارة القدس، وفيها أنشأت كنيسة القيامة وأصبحت القدس منذ ذلك الوقت مركز النشاط المسيحي مع بيت لحم مهد المسيح، ولكن العاصمة كانت قيسارية، في ذلك الوقت حملت القدس أسم ايليا كابيتولينا ثم احتل البيزنطيون الشرق ولم تكن القدس أكثر من مدينة مقدسة تعرضت لاجتياح الفرس وتهجير أهلها، ثم تراجعت مكانتها حتى الفتح العربي سنة ٦٣٨م، حيث ابتدأت تستعيد هويتها العربية القديمة التي كانت عليها أيام اليبوسيين، وازدهرت معماريا.



ولادة المسيح

وتعترف الأثرية الإسرائيلية مريام روزن ايليون، أن كل ما نراه ضمن الأسوار يعود إلى الفترة الإسلامية، وتمثل المباني القائمة جميع العهود التي تعاقبت على القدس في العهد الإسلامي.

ولقد تمت حفريات خارج أسوار الحرم من جهة الجنوب، وكان القصد منها اكتشاف آثار الهيكل، ولكن الآثار كانت أموية هي قصور ومسجد أنشئت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (ر:٢). حتى جدار المبكى المقدس عند اليهود، فلقد أكدت لجنة البراق الدولية أنه يعود إلى أملاك إسلامية. (ر: ٢٣)

على ضوء النتائج العلمية أصبح واضحاً أن فلسطين لم تكن لبني إسرائيل، بل كانوا غرباء فيها، واستمر وجودهم قلقا ومحدوداً زمنا قصيراً. إذا كان منهم من استمر مقيما خلال الفترة الرومانية والمسيحية وحتى الإسلامية، فهذا لا يعني أنهم أصحاب هذه الأرض، فاليهود في قزوين وفي أي جزء من العالم، كانوا أكثر عددا منهم في فلسطين، ولكن الحق العربي يبدو واضحاً في مرحلتين. المرحلة الأولى أيام اليبوسيين وهم من الكنعانيين أجداد العرب ومنهم الآراميون أيضاً. والمرحلة الثانية تبدأ منذ العهد الإسلامي واستقرت متنامية بتصاعد وتكريم وتقديس خلال أربعة عشر قرنا. ولكن عندما كان اليهود يبحثون عن وطن في أوغندا أو في أمريكا اللاتينية أو موزانبيق، صدر وعد بلفور عام ١٩١٧ ليجعل فلسطين وطنا قومياً لليهود. ولكن علم الآثار أصبح أقوى فاعلية من أي وعد أو أية قوة أو أي قرار يصدر عن الأمم المتحدة بإنشاء دولة غريبة على أرض عربية ويدعم وجودها ويدعم الاحتلال المتعاقب فيها.

إن هذا العلم وحده قادر على كشف وتعرية المطالب الإسرائيلية وعلى تأكيد الصفة الاحتلالية. وعلى نفي التاريخ الإسرائيلي كله، ونفي الأحداث الإسرائيلية وجعلها أسطورة وخرافة. ولعلنا استطعنا من موقعنا كمشرف مسؤول على عمليات التنقيب في سورية، أن ندفع بالعلم الأثري أشواطا في مجال إيضاح هويتنا القومية التاريخية على هذه الأرض الواسعة، وفي مجال الطعن بجميع الأساطير التي خلقت حقوقاً مقدسة أدت إلى إيجاد دولة إسرائيل التي تهدد الوجود العربي في الحرب وفي السلم. (ر:٣٢)

وإذا أصبح علم الآثار أكثر تحدياً لمبادئ الصهيونية، بات لازماً أن تعتمد المجابهة الحدية مع الوجود الإسرائيلي على هذا العلم الذي يتحدث بلغة موضوعية، يبقى الأكثر قبولاً في محافل السياسة الدولية، من الأساطير التي عششت طويلاً في العقائد الشعبية، وكانت سبباً في قيام دولة استعمارية غاشمة تطمع بأرض يحدها الفرات والنيل.



تنحصر القصص التوراتية في منطقة صغيرة جداً من جغرافية فلسطين، ولم تشكل الأحداث منعطفات هامة في تاريخ هذه المنطقة. ورواة هذه الأحداث يخلطون بين الأحقاب والشعوب والأمم، وهم رواة متعاقبون، إذا ابتدأوا منذ السبي الأول ٥٩٧ق.م، فإنهم لم ينتهوا حتى بداية الميلاد. ولذلك فإن هذه الأحداث ليست تاريخية صحيحة، وإنما هي لتمجيد بني إسرائيل والأحبار الذين كتبوا التوراة، والذين أعطوا أنفسهم حقوقا مقدسة لأرض ليست لهم من إلههم يهوه، وهو غير الإله العلي إله إبراهيم (ر:٣١). وحتى تاريخ الأنبياء وتسلسل الأمم، لم يستطع علم الآثار الإسرائيلي تأكيده وإثباته، بل تنافى مع الاكتشافات والكتابات التي حددت هوية الأقوام بصورة علمية، فالكنعانيون حسب

التوراة ليسوا ساميين بل هم أعداء الساميين، وهو أمر خطير يجعل الثقة بمفهوم الأمم التوراتي معدومة. فالكنعانيون هم أصل سكان هذه المنطقة، ولغتهم هي لغة سامية أصلية تختلف عن الحّورية والحّثية التي ربطها التوراة بالكنعانية برباط عرقي واحد.

في كتاب (كيف تم اختراع الشعب اليهودي - من التوراة إلى الصهيونية) يتحدث مؤلفه شلومو ساند الأستاذ في جامعة تل أبيب عن أكذوبة الشعب اليهودي في العهد القديم. وكان العالم الأثري فينكلشتاين قد كشف أثرياً الغطاء عن التوراة، وأبان الخرافات الواردة فيه والأساطير التي تتحدث عن تاريخ بني إسرائيل، فاضحاً الادعاءات التي اعتمدت عليها إسرائيل والصهيونية. و في كتابه: (الجدار الحديدي) أكد أفي شلايم، الأستاذ في جامعة سان أنطوني في أكسفورد تلك الخرافات التي أسست العقيدة الصهيونية وحقها بأرض فلسطين.

كانت هذه الدراسات وغيرها سبباً في زيادة اعتقاد الإسرائيليين بقرب زوال دولتهم، مما زاد في الهجرة المعاكسة، أو التحضير لها، وبتهافت الدعوة للهجرة إلى فلسطين.

وصرح أمنون روبنشتاين أستاذ القانون في محاضراته بجامعة تل أبيب، والوزير السابق: (يهدد وجود إسرائيل عاملان، أولاً التهديد العربي لبقائها. والثاني الفساد الداخلي المستشري في الإدارة الإسرائيلية..)

واستعر الإعلام الإسرائيلي بنشر حوارات المثقفين والسياسيين حول فقدان الثقة ببقاء إسرائيل على أرض ليست لهم، وبمخالفة القواعد الأخلاقية التوراتية، كما ورد في كتاب (التطهير العرقي) للعالم إلان بابي، الأستاذ في جامعة حيفا. وأن يهود العالم يترددون في الاعتماد على إسرائيل، ويشككون بمستقبلها، بل يرفضون زيارتها. حسب ما أوردته صحيفة يديعوت أحريدوت بتاريخ ١٩-٦-٢٠٠٨

٢- النفي لإثبات الهوية الثقافية

لم تنجح أعمال التنقيب التي ابتدأت في القدس منذ عام ١٨٦٥ بإثبات هوية غير عربية، إذ لم تستفد الصهيونية ولا التوراتيين من بعثة وارين /١٨٧٦/ اوتيرى /١٨٩٠/ في الكشف عن آثار توراتية.

وكان من أبرز من قام بالتنقيب في فلسطين والأردن فيما بعد. غلوك الذي قال: «كلما كنت أذهب مستكشفاً كنت استعمل التوراة كدليل للآثار، وأثقاً ثقة مطلقة بمعلوماتها وشواهدها وحتى تلميحاتها».

وقبل الخمسينات لم يكن أمام الأثريين الذين يبحثون في تاريخ الشرق القديم من مصادر إلا ما رواه التوراة، وكان أكثر المتحمسين للمصادر التوراتية، الأثريون والمؤرخون من أمثال: أولبرايت وأهاروني وغلوك الذين اعتمدوا التصنيف على هدى الأحداث التوراتية، فعندما اكتشفوا تحصينات في القدس نسبوها إلى داود. وكذلك نسبوا موقعا في تل المتسلم اعتبروه إسطبلات سليمان... على أن جميع هذه التأويلات الوهمية التي صفق لها التوراتيون بحماسة، لم تلبث أن تراجعت أمام دراسات علماء الآثار بعد عام ١٩٥٢.

لقد تنبه علماء الآثار أن الكشوف المتزاحمة في مدينة القدس. تنفي بقوة التاريخ التوراتي وتشكك بهوية ثقافية غير عربية في هذه المدينة. وحسب علم المنطق فإن النفي في قضية يعني الإثبات في قضية أخرى.

ولكن لابد من الاعتراف أن الحملات الأثرية التنقيبية في القدس، لم تترك فرصة كافية للتنقيب عن الهوية الثقافية اليبوسية - الكنعانية في مدينة القدس (أور سلام) لذلك يطالب العالم نوت Noth ومدرسته الأوربية بإلحاح، وبضرورة فصل الآثار السورية الفلسطينية عن التاريخ التوراتي.

وإذا لـم تـستطع البعثـات الأثريـة التنقيـب في أرض القـدس بـسبب نفـوذ التاريخ التوراتي على الأثريين الأوربيين، توصلت إلـى نتائج هامـة حـول الواقـع الثقافي في القدس من خلال التنقيبات التي قاموا بها في المدن المحيطة بالقدس مثـل أريحـا ومجـدّو، وتـل الغـسول وفيـه عثـر علـى أقـدم مـستوطن كنعـاني ذي حضارة ترجع إلى الألف الرابع قبل الميلاد.

ونـستطيع اسـتقراء ازدهـار مدينـة أور سـلام، مـن خـلال القـوائم التـي سـجلها تحوتمـوس الثالـث ١٥٠٤-١٤٥٠ ق.م بعـد اسـتيلائه علـى ١١٧ مدينـة كنعانيـة منهـا القـدس أور سـلام. وفي هـذه القـوائم وصـف لغنائمـه (المـصوغات المعدنيـة الثمينـة، والعربـات المطعمـة بالـذهب، وأوتـاد الخيـام المطعمـة بالفـضة وسـرائر من العاج، ومضاجع مطلية بالذهب،وأنواع من الكؤوس، وسـيوف محـلاة بالذهب وخشب الأبنوس، مع ٢٠٠ ألف كيس من الحنطة.

رافق النتائج الخائبة في تأكيد التاريخ التوراتي، دراسات أكدت استمرار سكان مدينـة أور سـالم الأصليين، علـى الـرغم مـن اسـتيلاء الآشـوريين علـى القدس على يد شاروكين أولاً في العام٧٤٠ ق م، ثم جاء البابليون الكلدان. ثم جاء نبوخذ نصر في العام٥٨٦ ق.م ويتحدث التلمود عن نفي اليهود إلى بابل. و ظهر بعده الفرس بقيادة قورش في العام ٥٣٩ق.م، وأعقبهم الأنباط العـرب (٣٢٣ق.م-٣٠ق.م) ثم جاء الإغريق في العام ٣٣٢ ق.م، بقيادة الاسكندر. ثم الرومان في العام ٦٣ق م وقد تغلبوا على الأنباط، ثم البيزنطيون في العام ٣٣٩.

ومنذ العام ٣٢٤م، أصبحت القدس مركز النشاط المسيحي مع بيت لحـم مهد المسيح، ولكن العاصمة كانت قيسارية، ولـم تكـن القـدس أكثـر مـن مدينـة مقدسـة تعرضـت لاجتيـاح الفـرس وطـرد البيـزنطينيين في العـام ٦١٤ م، ثم تراجعـت مكانتهـا، إلـى أن جـاء العـرب في العـام ٦٢٨م. حيـث ابتـدأت تـستعيد هويتهـا العربيـة القديمـة التـي كانـت عليهـا أيـام اليبوسـيين، وازدهـرت معماريـا، بدليل التراث المعماري القائم والذي استمر ما يزيد عن خمسة عشر قرناً. ومـا زالت قبة الصخرة مثلا رائعاً لهذا التراث العربي الإسلامي.

٣- الهوية الثقافية الأصلية

اللغة

استمرت اللغة الكنعانية سائدة في أورسلام عبر العصور الطويلة.و يتحدث اللغويون عن لغة كانت موحدة في بلاد الشام وبخاصة في مدينة السلام. فلقد تبين أن اللغات القديمة أو اللهجات، كالأكادية والعمورية والإيبلائية والكنعانية والآرامية، تنتمي إلى أرومة واحدة.

وتبين أن اللغة العربية قادرة بمفرداتها وبنائها اللغوي أن تكون مرجعاً لوحدة هذه اللغات السابقة للغة العربية، وليست اللغة العبرية التي وضعها الحاخام بن يهودا، كما ورد في كتاب (العرب في فلسطين).



لوح يمثل عبادة إيل

ونحن نرى اليوم من قراءة الرقم التي اكتشفت في سوريا خاصة، أنها ما زالت تحوي كتابات للهجة من اللهجات القديمة، وليس من بينها لفظ واحد خارج عن اللغة الأم. ولم نعثر على كتابات هامة مختلفة عن اللغة الأم التي ما زالت قائمة حتى اليوم، كما لم نعثر على حضور مستمر للهجة العبرية، بل إن الإنجيل كتب باللهجة الآرامية.

وفي القدس، لم نعثر خلال عصر الحديد على أي من الكتابات التي تعبر عن ثقافة مغايرة للثقافة التي امتدت منذ أن كانت القدس تحمل اسم أور سلام وحتى العصور الإسلامية وإلى اليوم، على الرغم من ضخامة الثقافة الآشورية والبابلية والفارسية، ثم الإغريقية واللاتينية التي هيمنت زمناً طويلاً. لقد استطاعت هذه الثقافة الأصيلة الصمود بقوة منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

هكذا يربط حضارة أور سلام مع الحضارات القديمة رباط ثقافي واحد، هو اللغة التي نقرأ اليوم مفردات لهجاتها في دراسات اللغويين وفي معاجمهم المقارنة. ولقد قدم ولفنسون معجماً يربط بين اللهجات القديمة (٣٦). كما قدم العالمان السوريان قاسم الشواف ثم عز الدين الياسين وباللغة الانكليزية أدلة حاسمة بعلاقة قوية بين لغة كنعان واللغة العربية.

ويؤكد العالم اللغوي الإيطالي فرانزارولي الذي يتقن العربية وزوجته، أنه من السهل فهم اللغة الإيبلائية (وهي لهجة أكادية كنعانية)، من خلال العودة إلى معاجم اللغة العربية القديمة، بل من ظاهر المفردات، مثل: فمو (الفم) عينو (العين) أبو (الأب) بن (الإبن) برت (البنت) يدو (اليد) بكر (الإبن البكر) دبيحه (أضحية). وثمه ألفاظ واضحة، مثل: تدبيروم، كلماتوم. بيتوم، زرعوم. وفي كتابه (حضارة واحدة أم حضارات)، يورد الدكتور بهجت قبيسي مجموعة من الأسماء والأفعال والضمائر العربية -

الإبلائية (٣٧). ومما لاشك فيه أن لهجة اليبوسيين لاتختلف كثيراً عن اللهجة الإيبلائية (ر:٣١). ولقد استطاع الباحث القبيسي التعمق في ربط الأكادية التي كانت سائدة في بلاد الشام،وكانت لغة اليبوسيين، باللغة العربية. ونسوق مثلاً ردده في كتابه المذكور:

الأكادية : أخي أتّ جملاتك ملكت عليّ

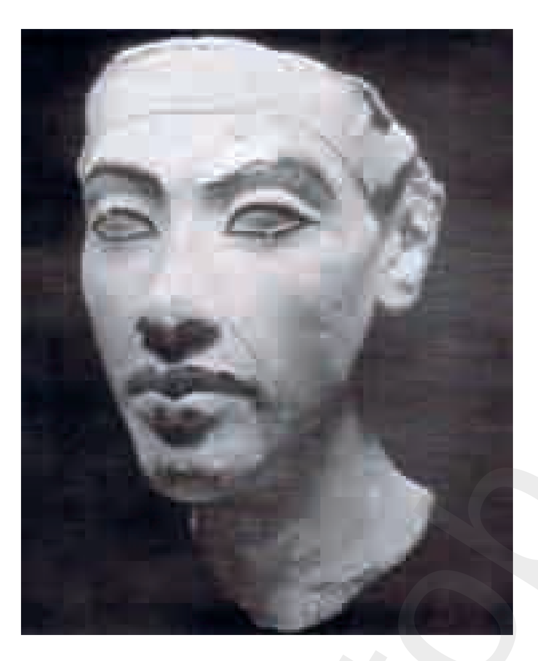
العربية : أخي أنت جميلك ملك عليّ حياتي

ولقد أكد علاقة اللغة الأكادية بالعربية، الباحث الدكتور نائل حنون في كتابه «حقيقة السومريين» (٣٠).

العقيدة الواحدية

يؤكد فرويد في كتابه (موسى والتوحيد) المعتمد على كتاب يوسفوس، أن النبي موسى كان في بدايته قائداً مصريا، وكان من أتباع أخناتون فرعون مصر الذي تبنى الديانة التوحيدية، وهي ديانة تؤمن بإله واحد (آتون) يقع فيما وراء الشمس، فهو خالق الشمس (آمون) وخالق الكون كله وهو رب العالمين وليس إله مصر وحدها، ثم هو إله موجود في كل مكان وزمان، وليس له صورة فهو لا يرى ولا يمس. وتقوم العبادة الاخناتونية على السلم والإخاء الإنساني. وعلى رسالة إنسانية تبنى نشرها الملك أمنحوتب الرابع الذي أطلق على نفسه اسم (آخن اتون) أي عبد الإله آتون، فنفى عن نفسه الألوهية التي كان يتمتع بها الملوك الفراعنة، وضحى بجميع ميزاته لكي يؤدي رسالة التوحيد، فكان بذلك أشبه بالنبي، فلقد ألغى الآلهة السابقة مثل آمون وايزيس وحتحور... لكي ينادي بإله واحد.

وبعد أن مات أخناتون، خلفه توت عنخ أمون الذي حارب الكهنة من أتباع آتون، فنقض العقيدة التوحيدية، وأعاد البلاد إلى العقيدة الآمونية ونقل العاصمة من تل العمارنة إلى طيبة.



تمثال أخناتون

وامتدت موجة الاضطهاد ضد المؤمنين بالتوحيد الاخناتوني، وكان موسى منهم، فهاجر إلى سيناء جامعاً بعض المضطهدين الذين آمنوا بالتوحيد، ولكنهم وقد أنهكهم التيه في سيناء عادوا إلى عبادتهم السابقة وخذلوا موسى وقتلوه، وتولى يشوع بعد ذلك قيادتهم للتغلغل والتسرب إلى فلسطين (كذا).

لم يكن لهذا الشعب المصري الغريب أي حضور ثقافي أو سياسي أو ديني، فلقد اندمجوا بالشعب الكنعاني وتكلموا لغته وانصاعوا لقياداته. ولم تنتشر العقيدة اليهودية التوراتية إلا من خلال التوراة الذي بدئ بكتابته اثناء وبعد النفي ٥٣٩ ق.م. وليس من علاقة بين قوم موسى ويشوع الذي دخل فلسطين عام ١٣٥٠ ق.م تقريباً، وبين المنفيين إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م. فرغم القرون الثمانية الممتدة بينهم، فإن كتبة التوراة أرادوا الربط بينهم وبين النبي موسى، الذي نسبوه إلى آل إبراهيم (أبو الأمم) وقصدهم أن يجعلوا دينهم قديما عريقا.

ولم يفطن كتبة التوراة إلى التقارب القائم بين التوحيدية التي آمن بها إبراهيم الخليل، والتي دمج فيها رب السماء في بلاد الرافدين مع رب الأرض في إله واحد، وبين التوحيدية المصرية التي تقوم على إله هو الخالق لآمون (الشمس) ولجميع الكائنات الصغرى، وهو إله غير مشخص ولا شبيه له، ويعبر عنه بهالة الشمس. أما التوراة فلقد جعل يهوّه إلهاً خاصاً واعتبر هو نفسه إله إبراهيم واسحق ويعقوب (إسرائيل) وموسى، باعتبار هؤلاء جمعيا هم أصول اليهودية، ونادوا بأنفسهم أبناء إسرائيل.

ويهوه كان إلهاً إقليمياً آمن به قوم مؤاب، وتزوج موسى من ابنة كاهن هذا الإله فجعل اليهود منه إله لموسى ومن حيث لا يدري. وأصبح هذا الإله في التوراة هو رب اليهود فقط، وهو رب عات ينادى بالاستيلاء على أرض الآخرين، وبقتل أبناءهم وحرق أرضهم، ولم يكن أبداً هو رب العالمين جميعاً كما هو الدين الاخناتوني، ولم يكن كذلك إله إبراهيم الذي آمن برب العالمين (إل إليون) رب اليبوسيين الكنعانيين.

تتجلى الهوية الثقافية من خلال ارتباط شعب أور سلام بالعقيدة الواحدية المختلفة عن العقائد اليهودية والفارسية واللاتينية. العقيدة التي بقيت صامدة بدءاً بالإله إل، وكان معبوداً منذ العام ٢٤٠٠ قبل الميلاد، وهو رب الأرباب العلي العظيم، رب إبراهيم الخليل، وليس له علاقة برب اليهود يهوه.

ويذكر التوراة أن ملكي صادق ملك أور سلام الكنعاني يؤمن بالتوحيد وبالإله إل، وكان هو «الكاهن للّه العلي» (إل إيليون). ولعله أول من اختط المدينة ليعيش فيها مع قومه انتقالاً من الكهوف، حاملاً اسم ملك السلام لدعوته الصالحة وسلوكه المستقيم، وهو أول من أطلق على القدس اسم أور سلام.

ويتحدث التوراة في سفر التكوين أن النبي إبراهيم باركه ملكي صادق الكاهن الأعظم وملك أور سلام وكان يعبد الإله العلي (إل ايليون)، و أور سلام كان اسم القدس قبل العام ١٩٠٠ق م.

كانت بلاد كنعان تابعة لمصر الفرعونية، حيث كان أخناتون يؤمن بعقيدة واحدية تتجلى بالإله آتون، ونقل عاصمته من طيبة إلى العمارنة. وكان في أور سلام ملك يسمى عبد هيبا يؤمن بالإله العلي.

وفي رسائل تل العمارنة، رسالة من الملك عبد هيبا إلى أخناتون يذكر فيها(إن هذه الأرض، أرض أور سلام، لم يعطنيها أبي أو أمي، بل هي عطاء إلى الأبد من الكاهن الأعظم الملك ملكي صادق، ولا يمكن أن أتركها للأعداء). ولقد أطلق الإنجيل هذا الاسم على لسان النبي يسوع وقال: (يبقى كاهناً إلى الأبد).

وتؤكد التسميات التي عثر عليها مكتوبة في وثائق إيبلا، هذا الانتماء وتلك العقيدة. مثل: إسماعيل (يسمع إل) وميكائيل (من ك إل) وإسرائيل (أسير أو عبد إل) و كيا (كالإله يا)، وكإل (كالإله إل).

الخاتمة

٤- محاكمة أثرية تاريخية في مؤتمر السلام

عندما سئل رئيس الوفد الإسرائيلي في مؤتمر السلام بمدريد (وبعد وصوله مباشرة ما إذا كانت هناك بوادر إيجابية في موقف «إسرائيل»، أجاب: نحن مع السلام ونرى أن هدف هذا المؤتمر هو تحقيق السلام، أما الأرض فهي لنا. ولكن جيراناً لنا يعتقدون أن لهم ثمة حقاً في هذه الأرض. وتفاءل الصحفيون بهذه الإشارة، التي تعني أن «إسرائيل» سمعت ولأول مرة، أن لجيرانها حقاً في أرض «إسرائيل» التي وعدهم بها الرب، كما يكررون ليلاً نهاراً.

هكذا إذن فإن المسألة بحسبهم مسألة تاريخية، وليست مسألة احتلال أراض بالقوة، أراض لا يملكونها بل يملكها شعب آخر، وإن مؤتمر السلام يقوم على أساس قرارين صدرا عن هيئة دولية وإن هدف المؤتمر مبادلة الأرض بالسلام.

فإذا كان هذا هو المنظور الإسرائيلي الذي تدعمه بقوة جماعات مما يطلق عليها اسم المتشددين الذي ذهبوا إلى مدريد لكي يمنعوا الوفد الإسرائيلي من الانزلاق والخطأ وبالموافقة على التخلي عن الأراضي المحتلة، بل إن عدداً من الوزراء الذين استقبلوا شامير في المطار بعد عودته مبكراً من مدريد بحجة يوم السبت، قالوا «إن الأرض هي جزء من مملكة إسرائيل والحديث عن الأرض مخالف لحق إسرائيل المقدس».

إن شعار «إسرائيل» وهو المثلث الذي يرمز على عنصرية الصهيونية حسب أسطورة الشعب المختار والميعاد وعودة المسيح المنتظر، هذا الشعار يحدد المجال الذي تتحرك ضمنه السياسة الإسرائيلية، وإذا كانت الوفود العربية والرعاية الأمريكية والسوفياتية في مؤتمر السلام، قادرة بقوة الحق والشريعة الدولية والنفوذ السياسي للدولتين الكبيرتين أن تضع حداً لتمثيلية الاحتلال التي ابتدأت في عام ١٩٦٧. فإن جميع الهيئات والقوى لا تستطيع أن تزيل هذا الشعار المثلث كعقيدة صهيونية لنظام الحكم الإسرائيلي. ولكن وحده علم الآثار، وحدهم العلماء والمؤرخون، هم القادرون على تحطيم هذا الشعار بقوة الحقيقية التاريخية التي تجابه الادعاء التوراتي، وبقوة الوثائق المكتشفة التي تستطيع أن تلغي وإلى الأبد التاريخ التوراتي لتقيم تاريخاً حقيقياً للعهد القديم.

كان راعيا مؤتمر السلام أمريكا والاتحاد السوفياتي قادرين على إقناع «إسرائيل» بتحرير الأرض المحتلة بعد العام ١٩٦٧، على الأقل لأن «إسرائيل» تعرف أنها عندما احتلت هذه الأراضي، كانت تدّعي أن احتلالها مؤقت وأنه مجرد عامل ضغط لتحقيق السلام. نحن لم ننس أن الاتحاد السوفياتي أعلم العرب قبل شهور من الاحتلال، خطر «إسرائيل» وأطلق على الخط الأحمر الذي كان يحدد مساحة الاحتلال، لهذا كنا ننتظر نهاية لمؤتمر السلام.

ولكن إذا رضخت «إسرائيل» لمبدأ الأرض مقابل السلام فهل يعني ذلك أنها ستتنازل عن حقها الإلهي بالأرض، ليس الأرض المحتلة فقط، بل الأرض الواسعة من النيل إلى الفرات؟...

ليس سهلاً أبداً أن يتنازل الذين يجعلون التوراة قانوناً وطنياً عن حق وعدهم به ربهم، ولقد أراد العلمانيون وهم قلة جداً أن يدعموا التاريخ والميعاد بالبحث والتنقيب العلمي، واستمروا في ذلك زمناً، تدعمهم هيئات علمية غير يهودية، بل يدعمهم نظام الحكم والجيش الإسرائيلي، واندمج مع هؤلاء سياسيون من أمثال موشي دايان ويادين وقاموا بالتنقيب الأثري وبجمع الوثائق،

وما زال العمل الأثري في «إسرائيل» مرتبطاً بوزارة الأديان التي تعمل على تأكيد القصص اليهودي التوراتي، فماذا كانت النتيجة؟

لقد تحدثنا عن نتائج البحث الأثري الصهيوني واستندنا إلى نتائج أعمال البعثات الأثرية، وأكدنا كما أكد جميع العلماء، أن علم الآثار غير قادر أبداً أن يدعم الأساطير الصهيونية، مهما حاولنا تقريب المسافة والتساهل مع الأساطير والحكايا الخرافية، ولكن هذا لا يكفي من جانب واحد غير قادر على اقتحام مؤتمر السلام، لكي يقول رأيه ويقضي بحكمه في مسألة الأرض على الأقل.

وعند الكلام عن مباحثات في السلام نفترض أننا سندعو إلى عقد محاكمة يكون الشاهد الملك فيها الجانب الأثري الإسرائيلي بل والتوراتي غير الإسرائيلي لكي يقف أمام محكمة أثرية، يكون فيها الوفد العلمي الأثري العالمي طرفاً. ولتعقد جلسات هذه المحكمة في أي مكان، بل في أي موقع أثري حتى ولو كان في فلسطين، ثم لتقف منظمة اليونسكو في مكان المدعي العام، ولتكن هيئة المحكمة مؤلفة من أساطين هيئة الأمم المتحدة، ولنستمع إلى مرافعات الطرفين.

يقول الطرف التوراتي: إن التوراة هو دليل العالم الأثري الباحث ضمن الأراضي المقدسة عن أحداث وحضارة العهد القديم، ولأن هذا الدليل مقدس فإن البحث الأثري سيستفيد جداً من هذه الوثيقة المقدسة، ونحن مازلنا نبحث وننقب على هدي هذه الوثيقة التي يؤمن بها شعب مختار، عاد إلى الظهور مطالباً بأرض الميعاد التي وعده بها الرب.

لم يكن المتحدث إسرائيلياً، ولنفترض أنه العالم الأثري التوراتي فريدمان، ولكن لماذا يجلس كل من الأثريين الإسرائيليين، مازار وبن دوف صامتين؟ لقد اشترك هذان الأثريان في أكثر أعمال التنقيب للبحث عن الهيكل وعن أي أثر له علاقة بالتاريخ التوراتي، فماذا كانت حصيلة

بحثهما أكثر من أنهما عثرا دائماً على آثار إسلامية أهمها القصور والجامع التي اكتشفت قرب الحرم الشريف، وتبين أنها تعود إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان؟!.

وفي الطرف المقابل كانت قلة ضئيلة من العلماء العرب وجمهرة من علماء الآثار العالميين الذين تحرروا من وهم التوراة بعد أن كانوا من دعاته، ولنفترض أيضاً أن من بينهم كانت مجموعة من علماء الآثار الأحياء والأموات، السيدة جارود والسيدة كينيون والسيد فرانكن والسيد ماتيه والسيد بوتشيللاتي ثم السيد هاري في وايس وآخرون ولسوف نقوم نحن بترجمة ما كتبوه وما أوردوه خطاباً.

«لا ننكر أن للتوراة فضلاً في تكويننا الأثري، وقبل أن نباشر أعمال البحث كان هدفنا مواقع محددة مازالت تحتفظ بأسمائها التي وردت في التوراة، ولكننا والحق يقال، لم نستطع التأكيد أن ما عثرنا عليه له علاقة بأحداث التوراة، حتى سدوم وعموره، فإننا لم نعرف بعد مكانهما، بل لم نعثر على أية وثيقة تحوي اسم هاتين المدينتين، وإن كل ما عثرنا عليه من آثار ومواقع إنما ينتمي إلى حقب مختلفة وإلى حضارات لم يذكرها التوراة، ونحن تعلمنا من المكتشفات دروساً لم نتعلمها في جامعاتنا الثيولوجية، حيث تعلمنا أن الوثيقة القديمة هي الكتاب المقدس الحقيقي، وهي الدليل الوحيد للعالم الأثري».

وبصوت خافت صادر من ورائنا، أي من وراء الطرف العالمي، نسمع كلمات مترددة باللغة العربية تقول إن أرض التوراة ليست في فلسطين، إن أرض التوراة رقعة صغيرة تقع في عسير من الجزيرة العربية، ويقاطعه صوت هامس آخر، بل تقع في شمال الجزيرة العربية.

وتجرأت لكي أقول: اسمعوا إذن، إن علماء الغرب يئسوا من البحث عن التوراة وتاريخه في الأراضي المقدسة، وعلماء الشرق يشككون في أرض

التوراة، هكذا تبدو القصة الصهيونية بدون مساحة جغرافية وبدون عمق تاريخي، فما الذي بقي منها.

ويتصدى من الطرف الآخر صوت متهدج منفعل، بل بقي المثلث، المثلث الذي يرمز إلى الشعب المختار وإلى الوعد ثم إلى ظهور مسيح جديد كما ورد في سفر دانيال. لقد كان من بين العلماء كاهن قديم همس بكلمات سريعة لم يلبث أن صادقته عليها، وقلت جهاراً: إن الرب الذي وعدكم في سفر الرؤيا، كان يهوه رب إسرائيل ولم يكن رب العالمين. ورب «إسرائيل» هو الذي دعاكم إلى اقتحام أرض ليست لكم، ودعاكم إلى القضاء على زرعها وقتل أطفالها وسبي نسائها، ثم قال لكم ستعودون بعدها إلى أرضكم. هكذا ورد في التوراة ونحن لا ندري مع ذلك أين كانت أرضكم، فإذا كنتم من قوم موسى وممن آمن بإله موسى فلماذا قتلتم نبيكم، وإذا كان موسى لا ينتمي بحسب علم التاريخ والآثار لآل إبراهيم فكيف ورثتم أنتم اسم إسرائيل (يعقوب) وكيف تتحدثون عن دويلة قديمة اسمها «إسرائيل»، وتنسبون أنفسكم إلى عهد الملوك بينما تكفرون سليمان لأنه عبد الإله إيل غير إلهكم، وأقام له معبداً هو غير الهيكل الذي تدعون أنه أقامه لربكم على جبل موديا. لماذا تبحثون عن هيكل لا أثر له إلا في أحلامكم، ثم تقفون أمام جدار تبكون، وعندما تقوم لجنة البراق بتقرير هوية هذا الجدار الإسلامية، تحتلونه بالقوة، ثم تهدمون الحي كله، وتوسعون الجدار أضعافاً لكي يستوعب الأعداد المتزايدة من الباكين على أحلامهم.

ما الذي تملكونه من الأرض المقدسة ، حتى تتمسكوا به غير الوهم. إن أجيالاً من الأثريين اليهود مازالوا ينقبون في كل شبر من الأراضي المحتلة وفلسطين، دعونا نسمع منهم ونرى، ماذا جنت معاول التنقيب لديهم غير المفاجآت المفجعة التي أورثت لهم إحباطاً، أليس هذا كافياً لإغلاق ملف الأرض الموعودة إلى الأبد؟!.

ويقف إلى جانبهم قزم ليقول بصوت مبحوح، نحن نرفض هذه المحاكمة ونرى أن نؤجل جلساتها إلى مستقبل نستطيع نحن أو أحفادنا تصحيح أخطاء علم الآثار الذي ينصركم. إنكم تسعون إلى إلغاء حقائق مقدسة لطالما آمنتم بها أنتم وزعماؤكم، ونحن ندعوكم إلى نبذ العلمانية والتفاهم معاً على أساس العقائد السائدة.

كان لا بد أن يتحرك الادعاء العام، ليقول «إن القانون الدولي لايستمد أحكامه من العقائد القائمة على الأحلام والطموحات، وإنما يستمد أحكامه من المنطق العلمي القائم على الكتابات القديمة التي ملأت الألواح الطينية، وعلى الكشوف الأثرية التي أبرزت أوابد ومنشآت ومعابد تعود إلى جميع الحقب الزمنية، ولم يكن من بينها كشف يساعدنا على جعل الأوهام والتحليلات حقيقية....».

كان علينا أن نكتفي بسماع ما قالته النيابة، ومع أن هيئة المحكمة مازالت في خلوة لتقرير الحكم، إلا أننا لا نعتقد أن هذه المحاكمة قادرة حتى الآن أن تنطق بحكم قطعي. فالناس الذين لا يحترمون العلم أكثر من احترامهم للقوة ليسوا بقادرين على الانتصار للعلم دون أن تدعمهم قوة السيف والمدفع.

هكذا تركنا المحاكمة التي جرت أو تصورنا أنها جرت على هامش مؤتمر السلام، ودون أن تحاكم إسرائيل لتجاوزها الحدود التي أقرتها الأمم المتحدة..

بعد صدور قرار التقسيم رقم ١٨٢ في ٢٩-١١-١٩٤٧ نص على تدويل القدس، وإنشاء نظام خاص لهذه المدينة. وفي العام ١٩٤٨ قررت لجنة التوفيق تقسيم المدينة إلى قسمين، القسم الشرقي للعرب والقسم الغربي لإسرائيل.

وبعد حرب ١٩٦٧ احتلت إسرائيل القسم الشرقي، وباشرت تهويد المدينة عمرانياً ومعمارياً، وفي العام ١٩٦٩ تم إحراق المسجد الأقصى من اليهود، فشكلت لجنة القدس برئاسة ملك المغرب وعضوية ١٤ دولة إسلامية. ورفضت اللجنة موضوع التهويد، وطالبت بالقدس عاصمة للفلسطينيين. وطالبت

مؤتمرات القمة بتحرير القدس، وبرفض أي وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على بيت المقدس.

وفي العام ١٩٨٨ قرر المجلس الوطني الفلسطيني، إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف. على الرغم من إصدار إسرائيل قانوناً برقم ٥٨٤١ لعام ١٩٨٠ والذي نص على اعتبار القدس عاصمة كاملة وموحدة لإسرائيل.

وهكذا فإن الغزو العنصري الاستعماري بدأ بالتسلل، فالتغلغل، فالضم، فالاغتصاب، وصولاً إلى التهويد. ومع ذلك فإن القضاة في هذه المحاكمة، لم تنظر في الشكوى التي قدمها مدعو الادعاء وتتضمن:

عدم تنفيذ إسرائيل القرار الذي صدر عن مجلس الأمن لحماية الممتلكات الثقافية في فلسطين.

- انتهاك اتفاقية حماية المملكات الشمالية في حالة النزاع المسلح.

- ومنذ العام ١٩٦٠ تناست إسرائيل قرار ١٥م/٠٣٠٣٤٣ ويتضمن أن تمتنع إسرائيل عن القيام بأي عمليات حفر أو نقل ممتلكات أو أي تعديل يؤثر في الهوية الثقافية أو التاريخية للمدن.وفي العام ١٩٧٥- تم اختيار المدير العام الأستاذ لومير لمتابعة الوضع، ووضع تقريره. وهكذا قرر المؤتمر العام في العام ١٩٧٦ أن مصدر الخطر على الممتلكات الثقافية يعود إلى استمرار احتلال إسرائيل للقدس.

ولكن إسرائيل خرقت هذا القانون وهدمت بعض المواقع الأثرية واستولت على ممتلكات ثقافية، والعمل على التنقيب والكشف عن الآثار في الأراضي المحتلة، لكشف تاريخ إسرائيل دون تاريخ فلسطين، والتنقيب تحت الحرم الشريف.

٥- ما بعد الصهيونية

قام الأثريون الجدد بمراجعة الرواية الصهيونية لحرب ١٩٤٨، ومن بينهم «يسرائيل فنكلشتاين» رئيس المعهد الأركيولوجي في جامعة تل أبيب، الذي يقول في معرض نقده للأساطير التوراتية (أساس شرعية الصهيونية) في كتابه The Bible Unearthed الصادر في عام ٢٠٠١: «في القرن العاشر قبل الميلاد، كانت أورشليم على حالة متواضعة، حيث لم يزد فيها عدد القرى عن عشرين قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن بضعة آلاف نسمة غالبيتهم من الرعاة المرتحلين».

وينطلق هذا الباحث إلى نقطة متقدمة، حين يصرّح لصحيفة «نيويورك تايمز»: أستاذاً إلى فهمي، ليس هناك أي دليل على الإطلاق يثبت وجود مملكة موحدة عظمى حكمت من القدس أقاليم ضخمة، إن قدس الملك داوود لم تكن أكثر من قرية فقيرة في ذلك الوقت.

وقد ظهر زئيف هرتزوج معي في برنامج تلفزيوني وحينما سأله المذيع «إذا كانت القصص التوراتية مجرد أساطير لا أساس لها من الصحة، فلماذا أنتم هنا؟ فكانت جابته بسيطة: «نحن هنا لأننا هنا»، وهي إجابة قد تعني أن هذا هو الأمر الواقع الذي لا يمكننا تغييره أو أننا هنا، لأن معنا السلاح القوي.

ويبدو أن هذا الطرح جاء كرد غير مباشر على ثنائية الكنيس والثكنة، والتي شهدت اهتماماً من رجال حرب إسرائيل بالآثار التي تخص فلسطين، والذين منهم «موشي دايان» والجنرال «إيجال يادين» الذي كان يقول: «البحث عن الآثار بمجراف في يد، وتوراة في اليد الأخرى».

ومن أهم هؤلاء الأثريين الجدد «زئيف هرتزوج» الذي نشر دراسة بيّن فيها أن الأساطير التوراتية، لا أساس لها من الصحة، وأكدّ «أن التنقيبات الأثرية المكثفة في أرض إسرائيل خلال القرن الماضي قد أوصلتنا إلى نتائج محبطة. فكل شيء مختلف، فنحن لم نعثر على شيء يتفق والرواية التوراتية. إن قصص الآباء (إبراهيم- يعقوب- إسحاق) في سفر التكوين هي مجرد أساطير. نحن لم نهبط إلى مصر ولم نخرج بالتالي منها. لم نتهِ في صحراء سيناء. لم ندخل فلسطين بحملة عسكرية واجتياح. إن مملكة داود وسليمان التي توصف في التوراة بأنها دولة عظمى، كانت في أفضل أحوالها مملكة قبلية صغيرة».

ويصل للاعتراف: «إنني أدرك باعتباري واحداً من أبناء الشعب اليهودي وتلميذاً للمدرسة التوراتية مدى الإحباط الناجم عن الهوة بين آمالنا في إثبات تاريخية التواراة وبين الحقائق الأثرية التي تتكشف على أرض الواقع». ولكنه في كلتا الحالتين يرفض الصهيونية التي تستند إلى الأساطير التوراتية كمصدر للشرعية.

وهناك عدد آخر من علماء الآثار الإسرائيليين الذين يرفضون الأساطير التوراتية، من بينهم الباحث الإسرائيلي «مازار»، وهناك كذلك الباحث الإسرائيلي «تاخاي» و«أوسيشين» و«أمنون بن تور» وغيرهم. وقد اعتمد هؤلاء المؤرخون الجدد المادة الأرشيفية التي رُفعت عنها السرية بعد مرور ثلاثين عاماً.

ويرى الكاتب أن السنوات العشرين الأخيرة، والفترة ما بعد أوسلو عام ١٩٩٣ بالذات، شهدت تراجعاً للأيديولوجية الصهيونية، فظهرت ما بعد الصهيونية تعبيراً عن هذا التراجع، وعن الإحساس بفشل المشروع الصهيوني، وانحسار الأيديولوجية الصهيونية (أساس الشرعية الصهيونية).

وقد قام دعاة ما بعد الصهيونية بمراجعة المقولات الصهيونية الرئيسية وانتقادها، ومحاولة «نزع القداسة» عن كل أو بعض المقدسات الصهيونية فوجّهوا حملة خطاب ما بعد الصهيونية لنقد الأفكار السائدة مثل «جمع المنفيين» (أي تجميع كل يهود العالم في الدولة الصهيونية وطن اليهود القومي المزعوم).

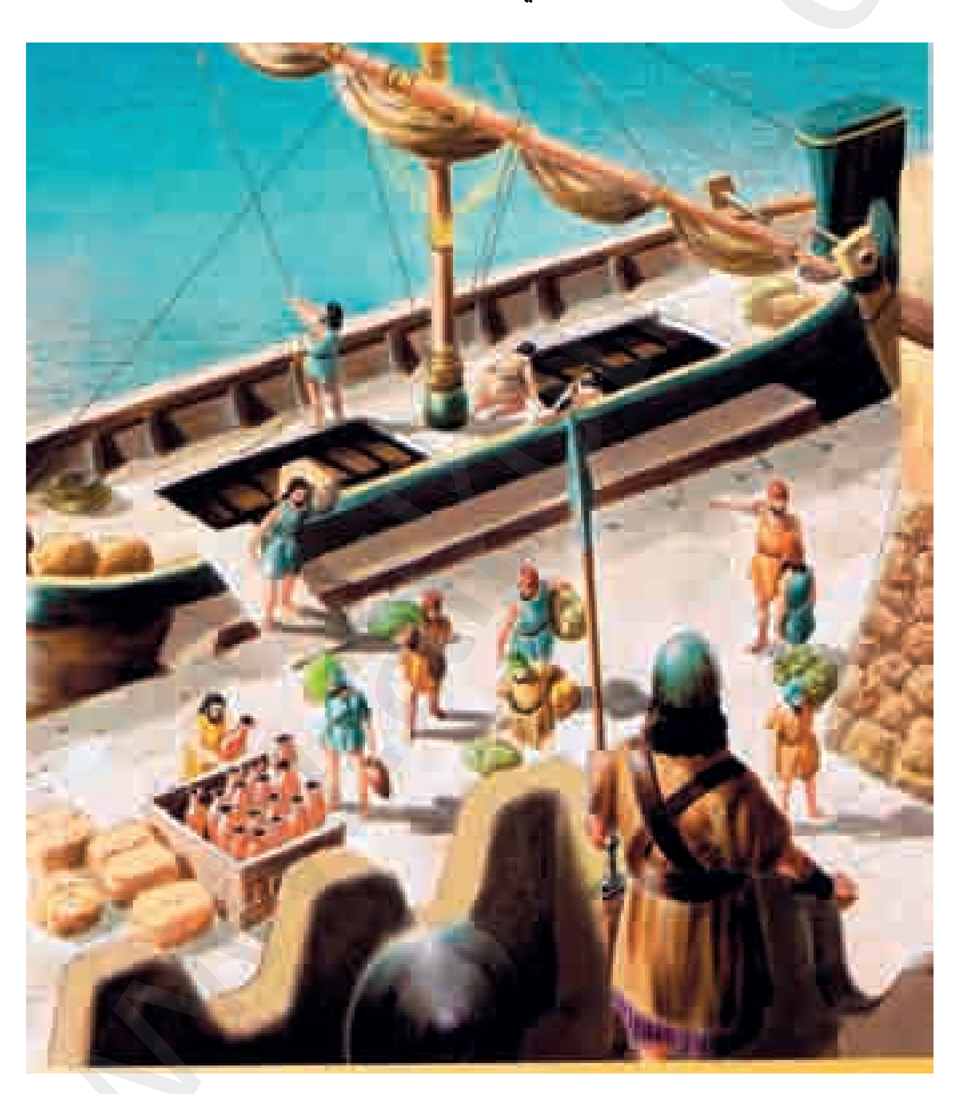
ويرى بعض المعلقين أن أتباع حركة ما بعد الصهيونية، لا يمثلون أقلية الآن حتى في الدوائر الأكاديمية والأدبية الإسرائيلية، وأنهم يهاجمون الدولة اليهودية ذاتها، وأن هجومهم لا يستهدف وجود إسرائيل المادي ذاته، بل يستهدف وضعها القانوني والسياسي والأخلاقي كدولة تزعم أنها دولة الشعب اليهودي.

تاريخ فلسطين القديم

من خلال الصور الملونة

التاريخ والسكان

يعود اسم أور سلام إلى الألف الثالث ق.م وتعني دار السلام، وسكانها كنعانيون – يبوسيون استمروا ألفي سنة.



١- الفلسطينيون الأوائل (اليبوسيون) وآثارهم في القدس

أنشأ اليبوسيون في أور سلام سوراً وحصناً وجروا إليه المياه، ومازالت آثارهم قائمة.



٢- آثار القناة التي أقامها اليبوسيون لنقل مياه عين جيحون في بلدة جازر الكنعانية، والتي تأكد تاريخها بواسطة الفحم ١٤

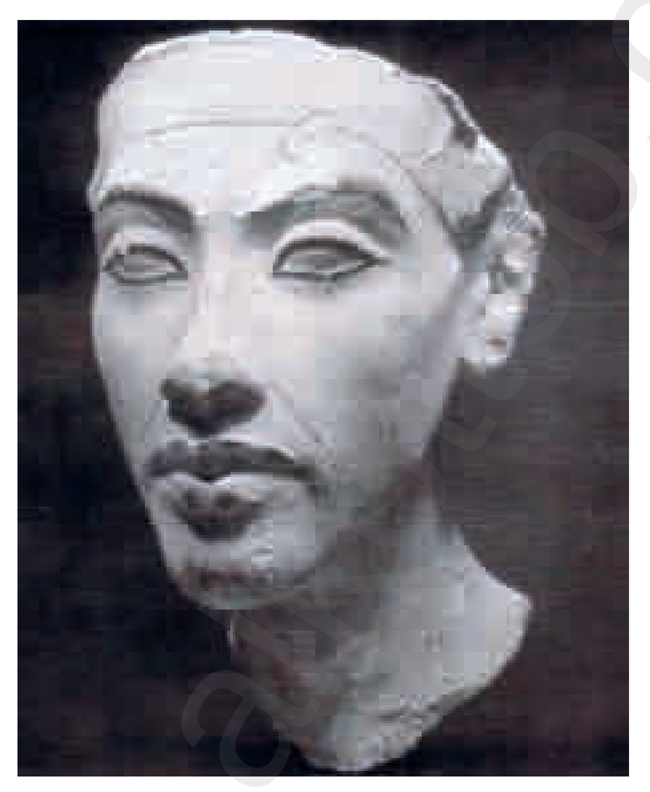
مازالت القدس عاصمة عربية منذ الألف الثالث ق م، بحكم اللغة الكنعانية والعقيدة الواحدية.

٣ - القدس في العام ١٨٧٣ - لوح معدني – متحف التاريخ - القدس

مخطط قديم يمثل مدينة القدس على جبل (موريا)



من أهم الوثائق عن اليبوسيين: رسائل تل العمارنة التي أرسلها السوريون إلى فرعون مصر أخناتون (١٣٦٧-١٣٥٠ ق.م). وفيها ذكر العبادة السائدة في أور سلام وأسماء الملوك، و منهم عبد هيبا و علاقته بمصر في عهد أخناتون. ويتحدث التوراة عن علاقة النبي إبراهيم عام ١٩٠٠ ق م مع ملكي صادق.وذكر اسم أدوني صادق في عهد موسى.



تمثال أخناتون (تحوتموس الرابع)

بعد اكتشاف وثائق إيبلا التي تشير إلى تاريخ العهد القديم، حقق علم الآثار

- الثورة على علم الآثار التوراتي.

- الاعتماد على الوثائق والمكتشفات الحديثة دون الاعتماد على الأساطير والفرضيات والخرافات.

خارطة ايبلا - حديثة على رقيم طيني



رقيم حديث مثلت عليه خارطة سورية القديمة وعليها موقع ابيلا.

وثائق إيبلا لها دور هام في توضيح تاريخ أور سلام القديم، من خلال الأسماء التي وردت في هذه الوثائق التي شكلت مكتبة ضخمة من الرُقُم.

رقيم من إيبلا يتضمن أسماء ذكرت في التوراة بعد ألف عام



في العام ١٩٧٥ اكتشفت في إيبلا المكتبة الملكية وفيها ألواح طينية تم حفظها في متحف إدلب وتقوم لجنة من علماء اللغة بقراءتها

مكتبة ايبلا وفيها ما يزيد عن ١٥٠٠٠رقيم



وتعمل البعثات الأثرية منذ قرن ونصف للتعرف على أوصاف مدينة أور سلام.

صورة خيالية للقدس (أور سلام) في القرن العاشر قبل الميلاد



مخطط مدينة القدس



تعاقب على أور سلام :

- الآشوريون في العام ٧٢٢ق م
- الفرس في عهد دارا الأول ٥٢٣ق م

وانتصار دارا الأول على (مرزبانا) مقاطعة آسورا عربايا (سوريا العربية) بما فيها فلسطين–

لوح من قصر بيرسيو بوليس (اصطخر)، يمثل وفداً من آسورا إلى بلاط دارا الأول



وكان دارا الأول من أبرز الملوك الأخمينيين، وامتد حكمه طويلاً (٥٢١-٤٨٦) ق م

خلال أكثر من ألف عام، امتد نفوذ الممالك الآرامية من الفرات إلى البحر، وكانت مملكة دمشق الأكثر نفوذاً

لوحة تمثل انتصار مملكة دمشق الآرامية على فلول الإسرائيليين



مكتشفات أريحا ويعود تاريخها إلى ما قبل عهد موسى بألف عام



أسوار أريحا – رسم افتراضي



استولى شاروكين ملك الآشوريين على السامرة في العام ٧٢٢ ق م

الآشوريون في فلسطين



اجتياح القدس بقيادة نبوخذ نصر في العام ٥٩٧ ق م

١٠- نبو خذ نصر يستولي على أور سلام ويهدمها



التوراة الذي كتبه الأحبار اليهود خلال قرون طويلة.

نسخة قديمة من التوراة تعود إلى القرن الخامس عشر



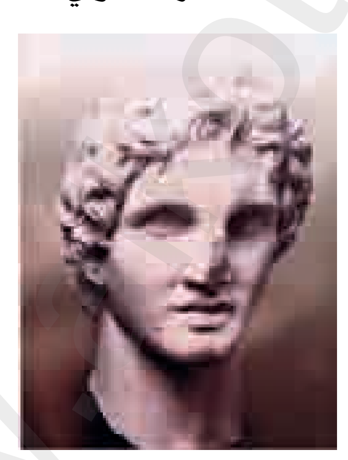
- عاش الأنباط العرب في فلسطين منذ العام ٥٠٠ ق م وبلغت حضارتهم شأواً، وما زالت عاصمتهم البتراء المنحوتة بالصخر معبرة عن العظمة والمجد

الفارس العربي النبطي



الإغريق في العام ٣٣٢ق م يجتاحون الشرق الأوسط وفلسطين بقيادة الاسكندر المكدوني. وخَلَفه السلوقيون

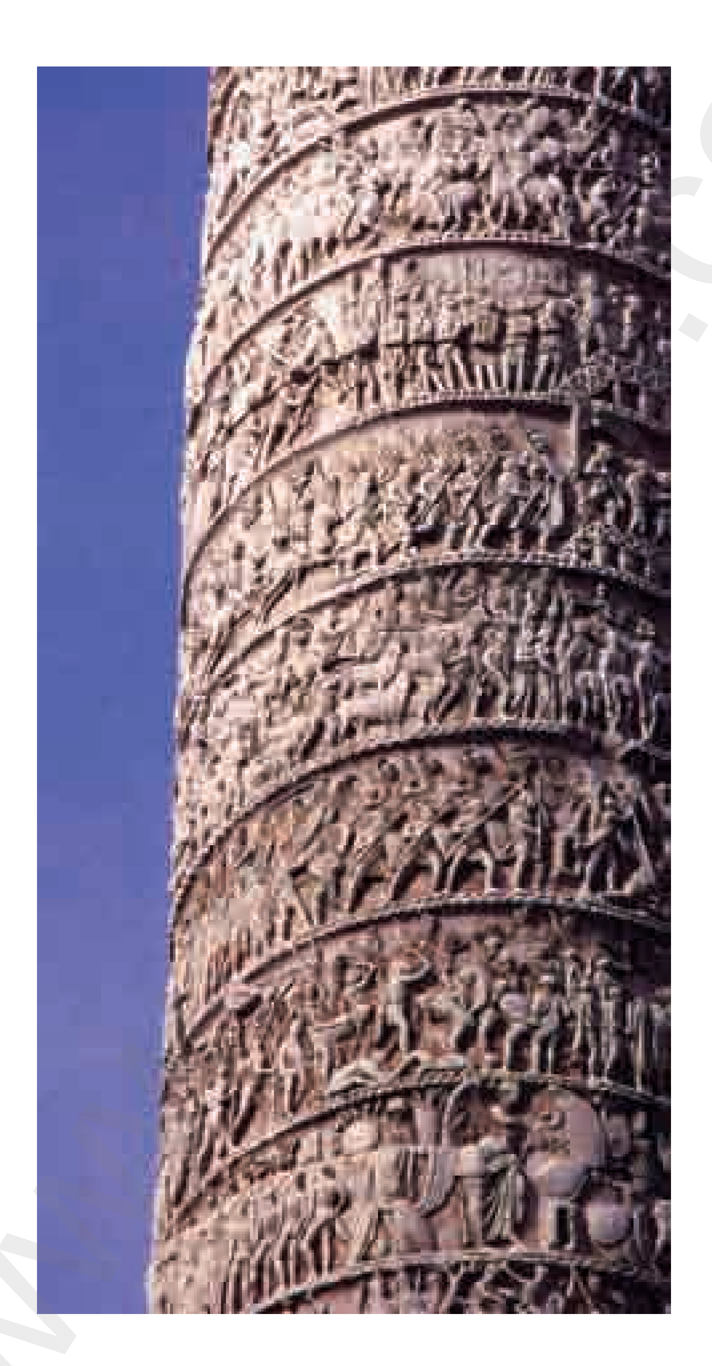
الاسكندر المكدوني



في العام ٦٣ ق م استولى القائد الروماني بومبي على المنطقة كلها.

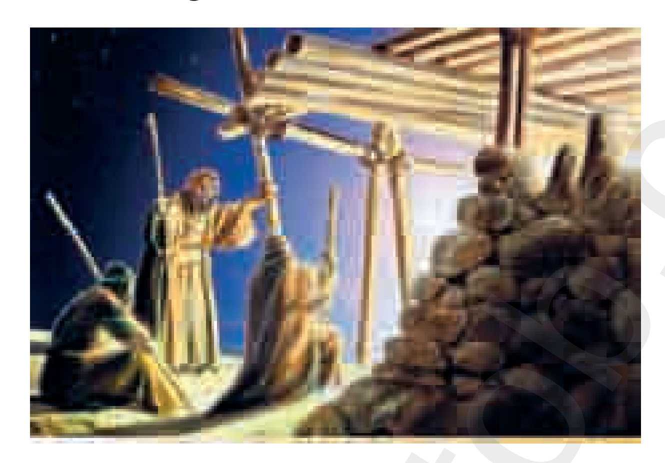
وأطلق في العام ١٣٥م اسم الإمبراطور إيليا ادر يانوس على مدينة القدس اسم إليا كابيتوليا، واستمر هذا الاسم حتى الفتح الإسلامي، كما ورد في العهدة العمرية

ا لرومان في إحدى معاركهم الظافرة، - مثال من عمود تراجان الذي صممه المعمار أبو للدور الدمشقي



يتحدث القرآن الكريم عن قصة يسوع المسيح، كما يتحدث الإنجيل عن الملوك الرعاة وعن نبوءتهم بولادة المسيح

لوحة افتراضية تمثل ولادة السيد المسيح في بيت لحم



الإمبراطور قسطنطين يؤسس دولة الروم في بيرنطة وأصبحت تحمل اسمه. ويتبنى المسيحية

- البيزنطيون٣٢٤ م في فلسطين
- الإمبراطور قسطنطين وقد أعلن ا لديانة المسيحية في بيزنطة وزارت والدته القدس وأنشأت كنيسة القيامة

خارطة القدس الفسيفسائية وكان اسمها إيليا - عثر عليها في مأدبا



- الفتح الإسلامي٦٣٨ في القدس وقيسارية ونهاية الروم في بلاد الشام

الفتح الإسلامي ٦٣٨ – ومعركة اليرموك



تسلم الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس وكان اسمها إلياء. وأعطى عهدته إلى سكانها، وزار الحرم الشريف

الحرم الشريف بعد عهد عبد الملك بن مروان

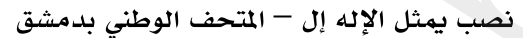


اللغة والعقيدة توضح الهوية الثقافية لشعب مدينة أور سلام، وكانت لغة سكان أورسلام

١- اللهجة الكنعانية ثم الأرامية وهي لهجات عربية أقدمها الأكادية، مما يربطها ثقافياً مع شعوب اللهجات العربية الأخرى: الأكادية والعمورية، والإيبلائية، والكنعانية ثم الآرامية.

العقيدة الواحدية:

كان الملك ملكي صادق الكاهن للّه العلي (إل إليون)، مؤمناً بالإله إل. واستمرت هذه العقيدة في عهد عبد هيبا متوافقة مع عقيدة أخناتون الواحدية المعاصرة. (الواحد في الكل والكل في واحد)



نصب يمثل الإله إل – المتحف الوطني بدمشق



فشل البحث عن آثار الهيكل المزعوم إثباتاً لتاريخ اليهود

جدار المبكى وبعثة البراق ونفي آثار الهيكل



حققت السيدة كينيون الأثرية البريطانية، هزيمة التوراتيين في أريحا وفي القدس اعتماداً على تحديد الزمن بحسب الفحم ١٤

اكتشاف آثار إسلامية عند جدار المسجد الأقصى

موقع اكتشاف آثار ثلاثة قصور إسلامية عند البحث عن آثار الهيكل



في العام ١٩٦٧ تم طرد العلماء الأوربيين، وباشر الأثريون الإسرائيليون وحدهم التنقيب في القدس.



ظهرت في العام ٢٠٠٠ تقارير إسرائيلية عن فشل العثور على أي أثار تؤكد التاريخ التوراتي، من الأثريين:

أفيغاد - شيلوح - سنوحي – مازار

حفريات افيغاد

مازال الجيش الإسرائيلي ووزارة الأديان وراء الحفريات الأثرية. بل كان الجنرال إيبال يادين منقباً أثرياً، تابع عمله عن والده سوكنيك، الأول من علماء الآثار في الجامعة العبرية وما زال العسكريون والضباط يقسمون في بلدة ماسادا على تحقيق التاريخ التوراتي.



حفريات افيغاد

صورة عن حفريات ايغال شيلوح في القدس



مشهد آخر الحفريات التي أجراها الإسرائيليون في القدس

حال ضغط الأفكار التوراتية وغزارة المنشآت التاريخية في القدس القديمة دون التنقيب بحثاً عن الآثار الأولى في أور سلام

ونستقريء ازدهار هذه المدينة من قوائم تحوتموس الثالث والد أخناتون، الذي نهب المدن الأكادية ومنها القدس.



مواقع التنقيب حول الحرم

مشهد القدس ضمن الأسوار في القرن الثاني عشر . م



الهوامش والمراجع

١- K. Kenyon : Archaeology of the Holy Land- London-1979

٢- M.Ben Dove. : The Omayyad Sanctuary near Temple mount.Jerusalem -1969-1970

٣- أحمد سوسه : العرب واليهود في التاريخ – العربي للتأليف والنشر – دمشق-١٩٧٥

٤- رشاد الامام : بيبلوغرافية مدينة القدس – بيت الحكمة – قرطاج - تونس-

٥- محمد ديب العامري : عروبة فلسطين في التاريخ - بيروت ١٩٧٢

٦- كمال صليبي: التوراة جاءت من عسير - ط٢- مؤسسة الأبحاث العربية -١٩٨٦

٧- ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية - عالم المعرفة ٩٦- الكويت ١٩٨٥

٨- نفس المرجع

٩- بروتوكولات حكماء صهيون – الترجمة العربية لكتاب ملرسدن – نشر دار الحرية - دمشق- ٢٠٠٨

١٠- كامبل ورد في مخطوطات مكتب السجل العام - لندن - رقم٢٨٩٧-٥-١٨٣٩

١١- نفس المرجع رقم٧

١٢- سايكس الوزير البريطاني وبيكو الفرنسي وضعا خارطة بلاد الشام بعد نهاية الحكم العثماني ١٩١٨

١٣- W.F.Albright : Archaeology and yhe religion of Israel 1942

١٤- خيرية قاسمية: نشاطات صندوق استكشاف فلسطين - من ١٨٦٥-١٩٦٥- شؤون فلسطينية -١٠٤- بيروت ١٩٨٠

١٥- K. Kinyon : Deging up Jericho– London -1960

١٦- P. Matthiae : Ebla- Britsh Library -1977

١٧- وعد بلفور: خطاب تواري الخارجية البريطانية١٩١٧ إلى اللورد روتشيلد، يتضمن أن الحكومة تنظر بعطف في إقامة دولة لليهود في فلسطين-

١٨- كيث وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة- إسكات التاريخ الفلسطيني- عالم المعرفة ٢٤٩- الكويت ١٩٩٩وهو ترجمة لكتاب :

K.Whitelam : The Invention of Ancient Israel- The silencing of Palestinian History- London – N.Y-19

١٩- J. Garstang : The Storty of Jericho- London -1948

٢٠- K. Kinyon : Deging in Jerusalem – London -1970

٢١- سامي عصاصة: هل اليهودية التوراتية دين ؟- ط٢- ١٩٩٨

٢٢- وصف الهيكل يعتمد على وصفه في المزامير

٢٣- عارف باشا العارف : تاريخ القدس - دار المعارف - القاهرة -١٩٥١

٢٤- دورية فرنسية مشهورة هي ((الملفات الأثرية))

Les dossiers d،archeolagie، Paris –No-165-166.

٢٥- بتيناتو: نشر في مجلة الآثاري التوراتي - عدد ت١-ك ١٩٨٠

٢٦- فرانزارو للي: وثائق إيبلا - وزارة الثقافة - ١٩٧٧-

٢٧- عبد الوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية - القاهرة ١٩٧٥

٢٨- J.Gray : History of Jerusalem –London- 1969

٢٩- تل العمارنة: العمارنة عاصمة أخناتون، وإليه وردت رسائل فخارية وردت من سوريا عثر عليها في العام ١٩٣٨ ضمن جرار

٣٠- بوتشيللاتي وثائق إيبلا - وزارة الثقافة - ١٩٧٧- ص ٧٠

٣١- عفيف البهنسي: وثائق إيبلا - وزارة الثقافة - ١٩٧٧- ص١٤١

٣٢- طه الباقر: مقدمة في تاريخ الحضارات - جزآن - ١٩٥٥

٣٣- لجنة البراق الدولي – استكهولم - ١٩٣٠

٣٤- حسن نافعة: العرب واليونسكو : عالم المعرفة ١٣٥ - الكويت ١٩٨٩

٣٥- عفيف البهنسي: الحملة الصهيونية لاستغلال كشف إيبلا- مجلة العربي -٢٦- الكويت -٩-١٩٧٧

٣٦- إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية - القاهرة - ١٩٢٩. ونشر الكتابان الآخران عن دار شلتون كولدج ١٩٥٢

٣٧- محمد بهجت قبيسي: حضارة واحدة أو حضارات - دار طلاس ودار شمأل - دمشق ٢٠٠٨

٣٨- M. Van Berchem: The Mosaics of the Dome of the Rock in Jerusalem (in Creswell- vol I pp 149-252)

٣٩- نائل حنون: حقيقة السومريين – دار الزمان – دمشق ٢٠٠٨.

N

الصفحة

الصفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الطبعة الأولى / ٢٠٠٩

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة